علي بن الحسن

الباخرزي

«حياته وشعره وديوانه»

تأليف وتحقيق

محمد ألتونجي

دكتور في الأدب المقارن

دكتور في الأدب العباسي

دار صادر

بيروت

علي بن الحسن
الباخرزي

عليّ بن الحسن

الباخرزي

«حياته وشعره وديوانه»

تأليف وتحقيق

محمد ألتونجي

دكتور في الأدب المقارن

دكتور في الأدب العباسي

دار صادر

بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

عاشرت الباخرزي عدداً من السنين بينما كنت أحقّق موسوعته الأدبية « دمية القصر وعصرة أهل العصر » وأدرسُها . فقد تحتّم علي ، وأنا أقوم بهذا العبء ، أن أتعرف هذا الكاتب الشاعر عن كثب . وتطلّب مني ، بالتالي أن أتناول ما خطّه قلمُه بالعناية التامة والدراسة الواعية كجزء من رسالة الدكتورا ، مع العلم أنه لم يبقَ بين أيدينا إلا دميته التي حققتُها ، وديوانه الذي أضعه الآن بين يدي القارىء موضّحاً ما وسعني إلى ذلك سبيلاً .

ولقد حاولتُ أن أعرّف القارىء بهذا الأديب الذي يعدُّ علماً من أعلام الأدب في العصر السلجوقي ، والذي عاش في أوج الفترة الأدبية للامبراطورية السلجوقية ، فكان صورة لها شعراً ونثراً ، وأخصّها بالذات ، تلك المرحلة التي كان فيها وزيرهم نظام الملك يصول في إدارة البلاد ويجول ، ويعطف على الادباء ويقدّم الشعراء ، وينظمهم في سلك أعماله الديوانية . فكان بذلك وليّ نعمتهم ومحطّ أنظارهم ، والمثل الاعلى لممدوحهم . لذا فإننا نراهم يرفعون إليه أكفّهم شاكرين ، وقصائدَهم مادحين . والباخرزي واحد من هؤلاء الأدباء ، وديوانه زاخر بمديحه والثناء عليه .

ولعلّ فترة الحكم السلجوقي أقل الفترات الأدبية حظاً بالدراسة ، وتعتبر مرحلة مظلمة في حقل دراساتنا ، وتحتاج إلى همّة المختصّين لقشع السّدافة عنه . إذ أن أغلب المؤلفات في زمانهم لا زالت في طيّ النسيان ، والقسم الأعظم من أدبائهم لم ينلْ حظه من الدرس والبحث . ولهذا السبب نرى بعض المؤرخين يتخطّون هذه المرحلة بحجّة قلة الادباء فيها ، أو ندرة المراجع التي تنير خطاهم لتقييمها . علماً أنها تضمّ مجموعة هائلة من الادباء ومن المؤلفات بشكل يثير العجب ! .

وأحسب أن دراسة العصر السلجوقي لا تقلّ أهمية عن أي عصر من عصور الادب ، لاتّسامه بصفات خاصة توضح مزايا المراحل التالية من تاريخ الادب العربي .

ولقد كان حقّاً عليّ أن ألقيَ ضوءاً وضّاحاً على الأوضاع السياسية والادبية التي طبعت الباخرزي بطابعها ، إلا أنني أكتفي بإرجاع القارىء الى كتابنا « الأدب في العصر السلجوقي » ففيه بغيته ومَحجّتي .

وقد اشتمل كتابي هذا على حياة الباخرزي منذ طلب العلم يافعاً إلى أن نالته يد القدر سنة ٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م. وبعد ذلك درستُ شعره وأغراضه العامة ليكون أمثولة لأدباء عصره . وفي الختام عرضتُ ما تيسّر لي التقاطه من شعره العربي ، وما عثرتُ عليه من شعره الفارسي مترجماً .

« ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليّ »

بنغازي : ١٢ / ١ / ١٩٧٣

محمد

رموزنا في هذا الكتاب

نسخ باريس: ب ١ + ب ٢ + ب ٣

نسخ فيينا : ف ١ + ف ٢ + ف ٣

را : راغب

ح : النسخة الاحمدية

با : بايزيد

ل١+ ل٢ : لندن

( ) اضافة المؤلف .

١ ـ علي بن الحسن الباخرزي

اسمه وكنيته ولقبه :

هو الرئيس الشهيدُ « نور الدين[١] أبو الحسن علي بنُ الحسن بن أبي الطيّب الباخرزي » [٢] . وقد نُسب إلى بلدته « باخَرز » حيثُ وُلد فيها ونشأ ، وأخذ قسطاً من علومه . ويضيف ياقوت أنّه « الباخرزي السنخي » [٣] ، دون أن يوضّح لنا سبباً لهذا اللقب أو أن يذكر مصدراً بالنسبة للسنة الاخيرة . ولم نعثر على مصدر آخر يثبت لنا صحّة اللقب الثاني .

وقد وصف بأنه « الشهيد » لأنه مات مقتولاً ، دون أن تُعرف الغايةُ من مقتله ، ممّا سنبحثه مفصّلاً بعد حين . أما تكنيته بـ « أبي الحسن » ، فهذا ما ذكرته أغلب كتب الادب والتاريخ التي تعرّضت لحياته أو لترجمته ، أو سجّلته أغلب الصفحات الأولى أو الاخيرة من النسخ المخطوطة التي تناولهـا تحقيقُنا لدمية القصر . بيد أنّنا عثرنا على كنية أخرى له هي « أبو القاسم » .

---

(١) انفردت الورقة الأولى من نسخة باريس (ب ٣) بأنه نور الدين .

(٢) لباب الألباب : ٦٦ ؛ معجم الأدباء : ٣٣/١٣ ؛ شذرات الذهب : ٣٢٧/٣ .

(٣) معجم الادباء : ٣٣/١٣ .

يرويها لنا ياقوت عن أبي الحسن البيهقي بعد أن يذكر أنه «أبو الحسن» ، ويقول في ذلك : «وهو الصحيح» [1] . ولعلّ مما يثبت صحّة هذه الكنية مخاطبة البارع الزُّوْزَني إياه :

أبـــا قاسمٍ لا زلتَ فينا عطيّةً   من الله لا أمست يدُ الدّهر مَجذوذَه

والبيت رواه الباخرزي في دميته [2] ، وكذلك فعل أميرك الكاتب [3] . ولا غرابة في أن يكون للباخرزي كنيتان ، لأننا كثيراً ما نصادف في كتب التراجم العامّة عدة كُنى لشخص واحد ؛ فقد يُكنى المرءُ منهم بولدين له ، أو يكنى بكنية دون ولد ، ويكنى بالاخرى باسم الكبير أو الشهير من أولاده . على أننا نرجّح أن تكون كنيته « أبو الحسن » جاءت من اسم أبيه «الحسن» ، والى ذلك أشار في ديوانه :

لقد كنتُ أُعرف بابنِ الحَسَنْ   فلقّبني العشقُ بابنِ الحَزَنْ

باخـــرز :

قال صاحبُ اللباب [4] : باخَرزُ ، بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفي آخرها زاي معجمة . أصل اسمها « بادْهَرْزَه » (ومعناه بالپهلويّة : مهبُّ الرياح) . وهي مقاطعةٌ في خُراسان من أفغانستان الحالية ، وتقع على نهرهَرات جنوب الجام ، ما بين هرات ونيسابور . تشتمل هذه المِنطقة على مئة وثمـــان وستين قرية ، منها « جَوذَقان » وقصبتُها « مالِين » ، وهي كذلك سوقها

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الدمية : ٢/٤١٧ .

(٣) حين خاطبه بقوله :

أبا قاسم يـــا كريم الخصالِ   سميَّ الوصيِّ عديمَ المثـــال

(الدمية : ٢/١٨٧)

وأشارت الموسوعة الاسلامية إلى أنه أبو الحسن (أبو القاسم) .

(٤) هو العوفي وكتابه لباب الألباب ، مكتوب بالفارسية .

الرئيسي . وتُعتبر هذه المقاطعة من المناطق الخصبة المشتهرة ببساتينها ولا سيما العنب والبِطيخ ، وكانت في القرن الرابع الهجري من أكثر المناطق تصديراً للحبوب .

خرج منها جماعة كثيرة من أهل الادب، منهم : أحمد بنُ الحسين وتاج الدين اسماعيل وسيف الدين المظفر الباخرزي وعليُّ بن الحسن الباخرزي صاحب « دمية القصر » . كان أبوه أديباً فاضلاً[١] .

أبوه ومقامه :

أجمعت الكتب التي روت أخبار الباخرزي على أنّ أباه هو الشيخ « أبو علي الحسنُ بنُ أبي الطيّب »[٢] ، وانفرد أحدُ شعراء الدمية واسمه « أبو علي الحسن بن عبدالله العثماني » بتكنيته بأبي أحمد عندما ذكره في بيته :

إنّ كلامَ أبي أحمدَ الحسَن أسا كِلام الهموم والحزَن[٣]

ولم يعلّق الباخرزي على ذلك مما يدّل على أنّ الأب ، كالابن ، ذو كنيتين .

ولقد تبيّن لنا لدى ذكره في الدمية ، واستشارة الابن أباه في بعض الأمور الادبيّة ، ومن الترجمة المستفيضة التي عقدها الباخرزي في أبيه مع مقتطفات من شعره ونثره ، أنه شاعر فاضل[٤] ، وذو مقام أدبي ، ومعرفة بإنتاج عصره.

---

(١) أنظر المراجع : فتوح البلدان – آثار البلاد – معجم البلدان – لباب الألباب – القاموس الاسلامي – المسالك والممالك – تقويم البلدان – الموسوعة الاسلامية – مرآة البلدان – فرهنگ معين – فرهنگ آنندراج .

(٢) وفيات الأعيان : ٦٦/٣

(٣) دمية القصر : ١٧٤/٢

(٤) معجم البلدان : ٣١٦/١

كما أننا كثيراً ما نعثر في ثنايا الدمية على مقتطفات من شعره يُوردها ابنه مقارناً بها شعر بعض شعراء عصره . وقد انفرد الثعالبي بتعريفه فقال : « فتى كثَّر الله فضائله ، وحسّن شمائلَه . فالوجهُ جميلٌ تصونه نعمة صالحة . والخلق عظيم تزينه آداب راجحة ، والنثر بليغ تضمّنه أمثال بارعة . والنظم بديع كله أحاسن لامعة » (١) .

ونرى أن الباخرزي استشهد لأبيه بنيِّف وعشرين قطعة في أثناء ترجمته فقط . ومع أنه قال عن أبيه إنه ضَنينٌ بالمدح ، فإنّ الغالبَ على هذه القطع المديح (٢) .

وتزيدنا صلة الأب بعدد من شيوخ الأدب واللغة والمساجلات الشعرية التي كان يعقدها معهم معرفة وتقديراً ، ثم تفهّماً للحياة التي عاشها ابنه الباخرزي . فلقد كانت تجري محاوراتٌ شعرية بينه وبين الثعالبي ، مثلاً ، أيام كانا لَصيقَيْ دار في نيسابور (٣) .

علمه وأخباره :

لم نجد مؤرخاً حدّثنا عن الباخرزي ، ولا عن وظيفته الحديثَ الضافي ولا الحديث الضَّحل ، بل جلُّ ما قالوه كانَ أوصافاً وتعابير عامّة وغير هامّة . ولم تتعدَّ أخباره في كتب الادب عدة أسطر . وقد حاولنا جهد المستطاع التقصّي غير أننا عدنا من جولتنا في هذه الكتب ، وليس في جعبتنا غير أخبار متكرّرة .

وإذا حاول الباخرزي الاعتراف بفضل مُعاصريه بأن جمع شتاتَ أشعارهم ، فإنّ مؤرخي الأدب في عصره أو بعد عصره لم يَعترفوا بهذه الهِمّة العليّة ،ولا

---

(١) تتمة اليتيمة : ٢/٣٧

(٢) أورد الثعالبي في « تتمة اليتيمة » بعضاً من نثره وعدداً من أبياته .

(٣) أنظر تفصيل ذلك في نشأة الباخرزي العلمية وشيوخه ، كما أن الثعالبي وصفه بقوله :

يا من تجمعتِ المحاسن كلها فيه ، وصيرت القلوبُ باسمه
فالوجه منه كخلقهِ ، والخلق منـ ـه كشعره ، والشعرُ منه كاسمه

بهذه الأعمال الادبية . ولقد جادتْ علينا كتبُ الأدب ، فيما جادت ، بأنه كان أحد كتاب الرسائل المعروفين ، وواحداً من موظفي الدواوين المرَموقين ، بما عُرف به . شهرة في الكتابة والانشاء ، ومقدرة على الصياغة والسبك [1] .

كانت حرفه ابة حرفةَ ذوي البراعة الأسلوبية ، وكان الأمـــراء يوظّفون فقط أصحابَ القلم ، لذا نراه يتنقّل في عدد من الدواوين الكتابية (كبغداد والبصرة ونيشاپور) تبعاً لتنقّله في البلاد ، بحثاً عن المعلومات . وتكاد الاسطرُ ، التي ذكرت صنعته تركّز على أنه ، بعد أن ترك حلْقة الشيخ « عبدالله بن يوسف الجُوَيني » ، شرع في فنّ الكتابة واختلف الى ديوان الرسائل [2] . ونبحث عن أول وظيفة ذكرتها الأخبار . فنراها عمله لدى الوزير الصاحب « أبي عبدالله الحسين بن علي بن ميكائيل » [3] في العراق وآذربايجان [4] . ويحكي لنا الباخرزي نفسُه أنه انتقل بعد حين الى خدمـــة الصدر الأجلّ « محمد بن الحسن » [5] . وإذا كنا نعلمُ أن الوزير الأولَ شرع في أعماله الوزارية منذ سنة ٤٣٦ هـ ــ ١٠٤٤ م ، وكنا نعلم أن الباخرزي عقد العزم على السفر سنة ٤٣٤ هـ ــ ١٠٤٢ م ، كما سيجيءُ بعدُ ، أدركنا أن الباخرزي وُظف في السنوات الأولى من رَحيله .

وتنفتحُ لنا الاخبار عن أعمال الباخرزي بشكل أوضح أثناء وزارة الكُندري الذي تعرّف إليه أثناءَ تلمذَتهما على الشيخ الجويني . فإذا علمنا أنّ هذا

---

(١) شذرات الذهب : ٣/٢٢٣ ، مقدمة الديوان في نسخة فيينا (ف ٢)

(٢) وفيات الأعيان : ٣/٦٧

(٣) هو رئيس الرؤساء أبو عبد الله من أوائل وزراء السلطان طغرلبك السلجوقي .
(ابن الأثير حوادث سنة : ٤٣٦ – وزارت : ٣٩)

(٤) لباب الألباب : ٦٧ ، الدمية : ١/٤٨٣ فقد قال : « وتصرفت بي أحوال أدّتني إلى ديوان الرسائل بالعراق في وزارة الصاحب » .

(٥) لعله هو نفسه « تاج الملك شرف الدولة والدين عمدة الوزراء أبو محمد الحسن بن محمد ، لأننا لم نجد وزيرا لطغرلباك باسم « محمد بن الحسن » (الكامل حوادث : ٤٣٦ ، لباب : ٦٧) .

الوزيرَ تسلّم أعمالَهُ الوزارية سنة ٤٤٨ هـ — ١٠٥٦ م [١] اتّضح لنا أنّ الباخرزي ظلّ فترةً وجيزةً يعمل في دواوين طُغْرُلبَك الديوانية إلى ما بعد ذلك الحين ، حيث شغلَ منصب كاتبٍ في دواوين البصرة . وننتهز فرصةَ معرفتنا خبرَ علاقته بهذا الوزير لنذكره ، ثم نعتصر منه صلة الوزير بالكاتب قبلَ العملِ وبعدَه ، واهتمام الوزراء بالكتاب والشعراء في ذلك الحين . فقد ذكر ياقوت ، نقلاً عن البيهقي في « مشارب التجارب » ، أنّ الباخرزي كان شريك « الكندري » في مجلس الافادة من الامام الموفّق النيسابوري سنة ٤٣٤هـ فهجاهُ الباخرزي مُداعباً :

أقبلَ من « كُندر » مُسَيخِرَةٌ — للنحسِ في وجههِ علامـاتُ
فهوَ الجحيمُ ، ودُبره سعـةً — كجنّةٍ عرضُها السماواتُ

قال البيهقي : « وكان أولُ عمل « الكندري » حَجْبةَ الباب ، ثم تمكّن في أيام السلطان طغرلبك ، وصار وزيراً مُحكّماً ، فورد عليه الشيخ « علي ابن الحسن » وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السلطان، فلمّا رآهُ الوزير قال : أنتَ صاحبُ « أقبلَ » ؟ قال له : نعم ، فقال الوزير : مرحباً وأهلاً ، فإني قد تفاءلتُ بقولك « أقبل » . ثمّ خلعَ عليه قبل إنشاده وقال له : عُد غد وأنشِد . فعاد في اليوم الثاني ، وأنشد قصيدته :

أقوتْ مَعاهدهُم بشطِّ الـوادي — فبقيتُ مقتولاً . وشَطَّ الوادي [٢]

وتُفاجئنا الروايات بعد ذلك بأنّ الباخرزي عاف الأعمالَ الديوانيّةَ ، واعتزلَ الناس ، وانعزل عن الحُكم ليختارَ الصَّحب والظرفاء ومجالس الأنس لمُعاقرة ابنةِ الكرمة[٣] دون أن تذكر لذلك سبباً . والمرجّح أنه أحبَّ التفرّغَ لكتابة دميته بعد أن مات سيده طغرلبك ٤٥٥ هـ — ١٠٦٣ م .

---

(١) وزارت در عهد سلاطين سلجوقي : ٤٢ ، شذرات الذهب : ٣/٣٠١ .
(٢) معجم الأدباء : ١٣/٤١ ، وانظرها في الديوان في أول حرف الدال .
(٣) لباب الألباب : ٦٧

مقامه وأدبه :

يعدّ الباخرزي أحدَ الأدباء من ذوي اللسانين العربي والفارسي [1] المشهورين في العصر العباسي السلجوقي أي في القرن الخامس الهجري ، وان كان لسانه العربي أقومَ وأكثرَ نتاجا . وقد عُرف بأنه حسن الخلق ، عالي المَرتبة [2] ، جميل الطلعة [3] . وكان أديباً فاضلاً ، وبارعاً لطيفاً [4] . خاض ميدان الفَصاحة وساحةَ السماحة [5] .

وكان أوحدَ عصره في فضله وذهنه ، والسابق الى حيازة القصب في نظمه ونثره [6] ، كما كان رأساً في الكتابة والانشاء والفضل [7] .

كان الباخرزي سنّيّ المذهب ، على مذهب الغزنويين والسلاجقة المعاصرين له ، غير متعصّب لسنيّته [8] . إلا أننا نراه أحياناً ، من ثنايا دميته ، ينتصر لسنيته إذا ما فُوجىءَ بأحد الادباء الشيعة المُغالين أو المتهجّمين على أحدٍ من الصَّحابة .

كما كان كثير الصحبة والمعاشرة للامراء والوزراء وأفاضل عصره ، كطغرلبك ونظام الملك والكندري والميمَنْدي والجُويني ، مما يدلّ على رِفعة مكانته وشهرتهِ بينهم ومقامه الأدبي والاجتماعي .

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران : ١٠٣٨/٢ ، والقصيدة طويلة ذكرناها في ديوانه .

(٢) لباب الألباب : ٦٦

(٣) تدلنا على ذلك حكاية مقتله فانظرها بعد صفحات .

(٤) آثار البلاد : ٣٣٨

(٥) لباب الألباب : ٦٦

(٦) وفيات الأعيان : ٦٦/٣

(٧) شذرات الذهب : ٣٢٨/٣ ، وفيات الأعيان : ٦٦/٣

(٨) أنظر فصل « الوضع الديني » في كتابنا « الأدب في العصر السلجوقي »

مقتله :

بينما كان الباخرزي في أحد مجالس الأنس التي كان يعقدها مع ندمائه وصحبه ، غافله غلامٌ تركيّ ، وطعنه بسكين أردته قتيلاً . ولم تُعرف هويّة القاتل ، ولا السبب الداعي إلى قتله . وذهب دمه هدراً في بلدته « باخرز » ، وذلك في ذي القعدة ٤٦٧ هـ – ١٠٧٤ م [١] . ويشير العوفي إلى أنّ قتله حصل سنة ٤٦٨هـ-١٠٧٥م [٢] . وينفرد «الفقيه الحنبلي» في أن قتلَه جرى في الاندلس [٣] . غير أن الروايات التاريخية ، والاحداثَ التي جرت في السنوات الأخيرة من عمره ، ونوعيّة عمله في الدمية وفي دواوين السلاجقة تدلّ على أنّ هذه الرواية بعيدة عن الواقع ، وغير صحيحة .

ويحكي القزويني قصةً عن سببِ قتله ، يفوحُ منها عبير الخيال الذي امتازت به كتب التاريخ والجغرافية في تلك الأيام . مفادُها أنّ السلاجقة أقطعوا « باخرز » لأمير ، زُوِّجَ امرأةً من نساء بني سلجوق ، فرأت أبا الحسن ، وقالت : « أتى رسولُ الله ﷺ ، في المنام على هذه الصورة » . فصار محظوظاً عندهم ، وآخر الأمر قُتل بسببِ هذه المرأة . وصار حسنُ صورته وبالاً عليه ، كريش الطاووس وذيل الثعلب » [٤] . على أنّه ، وإن كان يحصل مثل هذا أحياناً ، يُستبعد أن تعشقَ أميرة رجلاً قطع نيّفاً وخمسين سنة من عمره ، امّحى بها من وجهه رونقُ الشباب ، وغطّت هيبتُه ما تبقّى من رجولته . ولعلّ بعض الحسّاد أو الحشاشين كان ذا علاقة بقتله .

وعندما كان يودّع الحياة الفانية قال هذه الرباعيةَ الفارسية ، بحرقة قلب :

---

(١) وفيات الأعيان : ٦٨/٣ ، الموسوعة الاسلامية الفرنسية مادة (باخرزي) .

(٢) لباب الألباب : ٦٩ .

(٣) شذرات الذهب : ٣٢٨/٢ .

(٤) آثار البلاد : ٣٣٨ .

مَن مي بِر وَم بيا مَرا سير بِبين   و ين‌حال بِصَد هزار تَشوير بِبين
سَنگي زِبَر ودَست مَن‌أزز ير بِبين   وزيار بُريدَني بِشمشير بِبين [1]

وقد رثاه الشاعر « عياضي » [2] برباعيّة ، هي :

مسكين علي حَسن كه دَر آن شُوم كارزار
بي جُرم چون حُسينِ علي كُشته كِشْتَ زار
شِيري بُد أو كه بود أدب مَر غـزارِ أو
گر كُشته شُد عجَب نَبود شيرِ مَرْ غزار [3]

مؤلفاته :

حاولنا جهدنا معرفة آثاره التي كتبها ، فلم نهتدِ إلاّ إلى أسماءِ بعضها ، وهي :

١ — « دمية القصر وعصرة أهل العصر » : وقد حققّناها ودرسناهـا ، ونشرناها في ثلاثة أجزاء . وهي أم مراجعه الخاصة .

٢ — كتاب في « شعراء باخرز » : لم يصل إلينا . ولا نعلم عن أمره شيئاً ، إلا تصريحه في « الدمية » : « وكنت في حداثة الصبا أفردتُ لشعرائها كتاباً » [4]

---

(١) لباب الألباب : ٦٩ ، يقول : أنا ذاهب ، تعال حتى تُشبع نظرتك ملياً ، وانظر إلى هذه الحالة المخزية ، وإلى الحجر فوقي ، وتحته يدي .. وانظر كيف يقطع الانسان جيبه بالسيف .

(٢) لعله الشاعر « عبد الرحيم عياضي السرخسي » (فرهنگ سخنوران : ٤١١) .

(٣) لباب الألباب : ٦٩ ، يقول : مسكين علي بن الحسن الذي قتل في تلك المعركة ! دون ذنب . لقد قتل كما قتل الحسين بن علي مفجوعاً . كان أسداً ، والأدب ميدانه فلا عجب إذا قتل الأسد في ميدانه .

(٤) الدمية : ٢/٢٦٤

٣ ــ ديوانه : وستعرّض له في مطلع حديثنا عن شاعريته ، وسوف نسجّل في ختام هذا الباب ما جمعناه منه .

٤ ــ «غالية السُّكارى» : وهو في صفة أوحال نيساپور . ولم يبلغنا منه شيء إلا ما ذكره الباخرزي نفسه في مقدّمة حديثه عن طبقة نيساپور في الدمية ، كما أشرنا إلى ذلك في « أسلوب الباخرزي من دميته » .

٥ ــ « الاربعون في الحديث »[1] : وقد ذكره مؤلف كتاب « معجم المؤلفين » ، ولم نعثر على المصدر الذي استند عليه .

---

(١) انظره في « معجم المؤلفين » مادة (باخرزي) .

٣ ـ نشأته العلمية وشيوخه

لم تذكر لنا كتب الأدب شيئاً عن نشأته العلميّة ولا عن شيوخه إلا النذر اليسير والاشارة القلقة . كإشارة ياقوت إلى الشيخ الامام الموفّق النيسابوري عرضاً لدى ذكره خبراً من أخبار الوزير « الكندري » معه [١] . غير أنّ الخبر لم يُشر إلى نوعيّة الفائدة التي كان الباخرزي يجتنيها منه ، أو المُدةّ التي قضاها في حلْقته . ولم تعرّفنا كتبُ التراجم عن ماهيّة هذا الإمام ونوعيّة ثقافته ، لنستشفّ من ورائها العلوم التي أثّرت في الباخرزي .

ويعتبر الشيخ « أبو محمد عبدُ الله بنُ يوسف الجُويني » [٢] أبرز الشيوخ الذين تتلْمذ الباخرزي على أيديهم في نيشابور [٣] . فقد أخذ عنه فقه الشافعي وسمع الحديث والأدب [٤] . وبهذه الأنواع من العلوم برز الجويني ودرّس .

---

(١) ذكر ياقوت نقلا عن أبي الحسن البيهقي في « مشارب التجارب » أن الباخرزي كان شريك الكندري في مجلس الافادة من الامام الموفق النيسابوري سنة ٤٣٤ هـ (معجم الأدباء : ١٣/٤٠)

(٢) الشيخ أبو محمد والد إمام الحرمين أوحد زمانه علماً وزهداً ، وله تفسير كبير .

(طبقات الشافعية : ٣/٢٩٨)

(٣) الموسوعة الاسلامية الفرنسية مادة (باخرزي)

(٤) طبقات الشافعية : ٣/٢٩٨

غير أنّ الباخرزي اقتصر ، في أثناء التعريف به ، على ذكر « الفائدة الجمّة » الّتي حصّلها من هذا العلاّمة [١] دون أن يُفصح عنها .

وتحدّثنا الدمية أنّ أباه كان شيخَه الأول بما عرف عنه من فضل وأدب وشعر . لذا فاننا نراه ، بعد أن يكتشف في ابنِه معالم الرغبة العلمية والحرص على الافادة من الدروس [٢] ، يعكف على تَثقيفه بنفسه، ويبحث له عن شيوخ يعلّمونه ويوجّهونه [٣] . وعلى الرغم من وجود الإشارة الواضحة في تاج الدمية ومقدّمتها ، إلى أن أباه هيّأ له سبل التعليم ، فاننا نقف حيارى أمام هـــذه الصفحات ونتساءل : وما نوعُ العلوم الّتي جناها الباخرزي ؟ ومن هم الشيوخ الذين حلّقَهم أبوه حولَه ؟ وإلى متى ظلّ يَستقي ؟ وما ذا علّمه أبوه ؟ . وتُصَدُّ في وجوهنا الاجابات ، ولا نَدري بماذا نجيب عن تساؤلاتنا . غير أنّ بصيصاً من نور يلمع عندما يقول الباخرزي نفسُه إنّه فرغ من حفظ القرآن [٤] الذي كان مرحلتَه الاولى في التعلم ، ليبدأ بعدئذٍ دراساته في الكتاتيب ولدى الشيوخ ، وليبدأ كذلك بمطالعاتِه الخاصّة [٥] ، وهي كذلك مُغلقة دونَنا . أما الحديث عن مستوى أمه العلمي وأثرها في توجيهِه فأمرٌ لا ضرورةَ له لعدم وجود أية إشارة في هذا الشأن .

ويتوضّح هذا البصيصُ من النور أكثر عندما نلمح ، من بين سطور الدمية أنّ أباه كان على صلة بِخيرة أدباء ذلك الزمان ، وكثيراً ما كان يقوم الابن بصلة الوصل بينهما ، فيحمل المُساجلات الشعرية والاخوانية أو يجالسهم في منادماتهم الادبية . وعلى هذا فاننا نعلم أنّ الباخرزي كان يَستقي الادب من

---

(١) أنظر الدمية : ١٦٧/٢

(٢) الدمية : ١٦/١

(٣) الدمية : ١٥/١ .

(٤) يقول : « .. فرغت من حفظ كتاب الله عز وجل » (الدمية : ١٥/١) .

(٥) الدمية : ١٦/١

جلساء أبيه كالثعالبي صاحبِ اليتيمة والتتمة [1] . فكان أن انطبع هذا الجوُّ الأدبي في نفس الباخرزي ، وأخذ في المطالعة الأدبية ، لتُخلق في نفسه قصةُ الدمية إثر زياراته المتكررة لمكتبة الثعالبي ، واطّلاعه على مُسوَّداته .

غير أن الباخرزي الذي استعدَّ للرحيل سنة ٤٣٤ هـ — ١٠٤٢ م ، نَراهُ يسدّ علينا طريقةَ كسبه العلمي . وإذا علمنا أنه استقى في نشأته القرآنَ والفقه والحديث وشيئاً من الأدب ، فاننا لم نعُد نعلم شيئاً بعد ذلك [2] .

ولا يعني الغموض الذي جُوبِهنا به أنّ الباخرزي توقّف غبَّ الرحيل عنِ البحث والدرس ، فقد صرّح كثيرا أنه تتلمذَ على بعضهم ، ودرس على آخرين [3] . ولن نقفَ مكتوفي الايدي حيالَ هذا الانغلاق ، بل إننا سنبحثُ عن أسماء الذين صَرّح في ثنايا دميته أنه اجتمع بهم ، ناهلاً من علمهم ، كما نبحث عن اتجاهاتهم العلمية ومعارفهم ، علّنا نستشفّ من وراء ذلك شيئاً يُعينُنا على تركيز اطّلاعات أديبنا وتَعيين منابعها .

وقد استطعنا أن نقسم نوعيّةَ ثقافته بعدَ الرحيل إلى اثنتين ؛ الاولى استقاها من الاساتذة الذين أعلن أنه تتلمذ على أيديهم . والثانية من الادباء العلماء الذين زارهم ، وأخذ عنهم أشعارَهم أو أشعارَ مَن روَوا له ، أو من رواته الذين كرر

---

(١) « وكنت ، وأنا بعد ، فرخاً أزغب ، في الاستضاءة بنوره أرغب . وكان هو ووالدي ، رحمة الله عليهما ، بنيسابور لصيقي دار ، وقريبي جوار ، فكم حملت كتباً تدور بينهما في الاخوانيات ، وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات . وما زال بي رؤوفاً علي حانيا ، حتى ظننته أباً ثانياً » (الدمية : ج ٢) .

(٢) عثرنا في المكتبة المركزية لجامعة طهران على نسخة من «الأمثال السائرة في شعر أبي الطيب» تأليف « الصاحب بن عباد » ، وهي بخط الباخرزي ، كتبها سنة ٤٣٤ هـ ، أي في أوائل حياته الأدبية . ولعل هذا يلقي ضوءا على اطلاعه على كتب الأدب في وقت مبكر .

(٣) فقد اعترف أنه نهل من علوم عدد من الأدباء كأبي عامر الفضل بن اسماعيل التميمي وأبي الغنائم رحمة الله بن اسماعيل القرشي وأبي منصور عبد الرزاق بن الحسين البوشنجي وأبي الحسن يوسف بن صاعد العقيلي وأبي المظفر محمد بن تمام . وكلهم ممن ترجم لهم في دميته .

زياراته لهم لينقلَ منهم محفوظاتِهم . فقد درس النحو والبلاغة والنقد على يدي عبد القاهر الجُرجاني (١) وابن برهان (٢) والقصباني (٣) ، والأدب والشعر على محمد بن تمام (٤) وأبي الفرج حَمْد بن محمد وأبي عامر الجرجاني (٥) (أكثر المؤثرين فيه في هذا المضمار) ، وعلوم الأوائل والفلسفة نهلها من أبي بكر القُهِستاني (٦) .

أما الذين قابلهم أو زارهم واستملاهُم نتاجهم ، فكانت ثقافتُهم كثيرة التنوّع ، كابن كرّام (٧) في علم الكلام والمعتزلة ، والهَمذاني في اللغة ، وأبي

---

(١) عبد القاهر الجرجاني : واضع أصول البلاغة ومن أئمة اللغة . نشأ في جرجان ونسب إليها ، وله شعر في الغزل والوصف والحكمة ، وهو صاحب المؤلفات المشهورة (فوات الوفيات : ٢٩٧/١ – أنباء الرواة : ١٨٨/٢ – دمية القصر : ج ٣) .

(٢) هو عبد الواحد بن علي برهان سكن بغداد . كان عالماً بالأدب والأنساب والنحو ، ومعلماً بها . توفي سنة ٤٥٦ هـ – ١٠٦٤ م . (تاريخ بغداد : ١٧/١١ – فوات الوفيات : ١٩/٢ – دمية القصر : ج ٢) .

(٣) القصباني : نحوي بصري ، واسع العلم غزير الفضل إمام في علم العربية . توفي سنة ٤٤٤ هـ – ١٠٥٢ م في أيام القائم . أخذ عنه عدد من الأدباء كالتبريزي والحريري ، وله عدد من المؤلفات . (معجم الأدباء : ٢١٨/١٦) .

(٤) هو محمد بن تمام أبو سعد المؤدب ، كان في عنفوان شبابه متأدباً ثم صار مترسلا . له نثر وله شعر ، أورد له الباخرزي بعضاً من منظومه (المحمدون : ٢٠١/١ – دمية القصر : ج٢)

(٥) هو أبو عامر الفضل بن اسماعيل التميمي ، أديب فاضل وأحد أصحاب عبد القاهر الجرجاني . كان مليح الخط ، صحيح الضبط ، رائق النظم ، فصيح النثر ، حسن التأليف (معجم الأدباء : ١٩٢/١٦ – طبقات المفسرين : ١٩٨ – دمية القصر : ٥٦٨/١) .

(٦) هو الشيخ العميد أبو بكر القهستاني ، شغل منصب رئاسة ديوان الانشاء في زمان الأمير محمد بن محمود الغزنوي . كان من أعلام الأدب ومن رواته . روى عن الباخرزي في دميته (مقتطفات من دمية القصر : ج ٢) .

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن كرام ، صاحب الطريقة « الكرّامية » ذات التأويلات البعيدة عن الواقع ، وقد تفرعت إلى اثنتي عشرة فرقة (الملل والنحل : ٩٩/١ – ١٠٤) .

جعفر البحاثي [1] صاحب كتابيْ « جُونة الندّ » و « شرح ديوان البحتري » في الأدب ، وهما مفقودان .. إلى غير هؤلاء . وقد برز أثر ذلك كلّه في تضاعيف الدمية . ولعلّ القارىء المتابع لمس في اتجاهه النقدي الأدبي والبلاغي واللغوي والنحوي تأثراً بما تَعلمّه ، ووضوحا في ما كتبه . ناهيك عن الأدباء الذين صَقلوا ذوقَه ، وهذّبوا معرفته بشعرهم ونثرهم .

ولن ننسى أهميّة المكتبات التي رادَها ، وما حَوتْ من ذخائر العرب ، ولا زملاءَه الذين عاشروه في مهنته الكتابيّة ، ولا رؤساءه من الوزراء والأمراء الذين ثقّفوه الثقافة التاريخية المعاصرة لضرورة عمله في ظهرانيهم .

ولعلّنا لا نخرج عن ميدان نشأته العلميّة والتحدُّث عن شيوخه إذا وقفنا وقفة قصيرة في أمر تَربية أولاده ، فننظر إليه عندما يغدو أباً لأولاد لا نعرف عددهم ولا جنسَهم ، لنرى أنّ الاثرَ الذي غرسَه أبوه فيه في أثناء تربيته أتى أُكُلَه ، وعرف أنّ المعلّم في الصغر أهمّ من قراءة الكتب في الكبر . ونراه الآن في مقام أبيه الأدبي والشعري حيث يتّخذُ لهم مربّياً ومؤدباً ، دون أن نعرف نوعية التأديب والدرس . وهو « أبو الشرف عماد بن أبي الفرج بن هندو القمّي » [2] ، ولم يكتف به وحده . بل نجده يضيف عدداً آخر من المُربّين فيقول في « علي بن عبد العزيز العمّاري » : « وانضاف إلى أولادي مدةً يُفيدهم » [3] .

وبعدُ ، فقد استطعنا بعد هذا العرض أن نلمّ إلمامة عامة بنشأته العلمية قبل رحيله وبعده ، من شيوخه وأساتذته وزملائه والوارد عليهم ، ووضعْنا بين

---

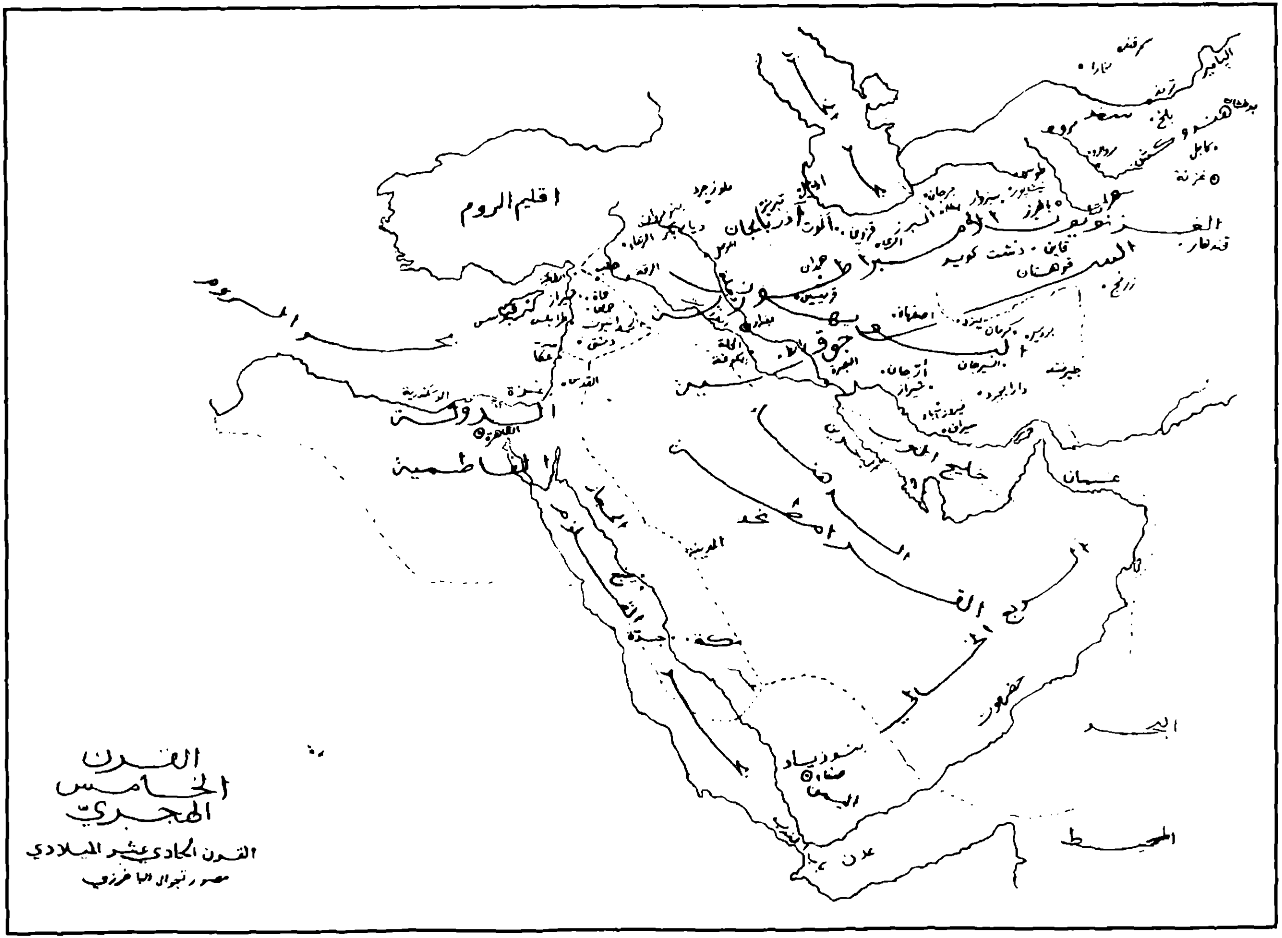
(١) هو محمد بن اسحاق بن علي ، أبو جعفر الزوزني البحاثي ، أديب من الشعراء له ديوان شعر ومؤلفات أخرى . توفي في غزنة عاصمة الدولة الغزنوية سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م (معجم الأدباء : ١٨/١٨ - لباب الألباب : ٩٩/١ - دمية القصر : ج ٢) .

(٢) أنظر ترجمته في الدمية : ٦١٨/١

(٣) الدمية : ٣٧٠/٢ . وانظر ترجمته هناك .

يديك أسماءَ أهمّ الشيوخ الذين جاد عليه الزمان بهم .

على أننا لم نتمكّن من كشف اسم شيخٍ لصيق به ، ولم نجده قد تطبّع أو تبحّر أو تأثر بأحدهم الأثر الذي يجعلنا نُقر له بالتلمـذة التامة عليه . ويرجع سبب ذلك إلى كثْرة تنقّله بين البلدان بعدَ بدئه الرحيل . غير أنّ الذي لا شكّ فيه أنه أخذ من كل فنّ طرفاً ، وجمع شتات العلوم المعروفة في عصره ، ودمجها في نفسه ، وبانت نتائجها في دميته وديوانه من علم وذوق وشعر وأدب .


القرن
الخامس
الهجري
القرن الحادي عشر الميلادي
اقليم الروم
الفاطمية
القاهرة
الاسكندرية
غزة
عكا
دمشق
بغداد
البصرة
المدينة
مكة
جدة
اليمن
صنعاء
عدن
حضرموت
عمان
البحر
المحيط
اصفهان
شيراز
كرمان
قزوين
آذربيجان
سمرقند
بخارا
بلخ
كابل
غزنة
قندهار

٣ ـ تجواله العلمي

أحسّ الباخرزي أنّ العبءَ الذي صمّم على تحمّله في سبيل صياغة دميته، يَنضوي تحت جهد جهيد، وتَجوال بعيدِ الأرجاء ليصلَ إلى مبتغاه، ويحقّق الهدفَ الذي ينشده. ولكنّ كتبَ الأدبِ التي ضنّت علينا بالترجمة الضافية عن حياته ونشأته ضنّت أكثر في قضية هذه الرحلة العلميّة.

وعندما تقصّينا قضيةَ الرحلة، نظراً إلى أهميّتها، من خلف السطور التي ألّفها عن الشعراء، وفي أثناء مقابلاته لرواة مُصنّفه، عرفناه أديباً جوّالاً[1] لا يقلّ عن غيره من الادباء الذين كانوا يَرحلون في سبيل جمع نتاج مَن يقابلون.

وإذا ما جمعنا أسماءَ البلاد التي ذَكر أنه زارَها، أو قابل فيها فاضلاً أو راوياً، أو راجع في إحدى مكتباتها ديواناً، عرفنا أن عددَ البلاد بلغ تسعةَ عشرَ بلداً بينَ قرية وعاصمة، هي: باخرز ونيسابور وزوزن وبوشَنج وطوس ودِهِستان وجُرجان وجوذَقان وطَبَسان وسَداسير والبصرة وبغداد وسَرخس

---

(١) قال: «لا أزال أهب على كل بقعة مذكورة، وأحط رحلي من كورة إلى كورة» (الدمية: ١/٢٠).

ومَرو والرّي وخُراسان واستَراباذ وهَرات واشْكيذبان [1] . وكلها مذكورة في المصوّر . وهي . على كثرتها . أقل مما يتوقّع أن يكون قد زار ، فقد يكون سَها عن ذكر بلد ما ، أو أنْستْه الأيام ذكرها ، أو أهمله ، أو مرّ به ولم يجدْ فيه بُغيتَه . على أننا نرجّح أنه لم يَزُر بلادَ الشام ومصرَ والجزيرة والحجاز ، لعدم وجود ذكر واحدٍ لهذه المنطقة . ولكثْرة الرواة الذين أمْلَوا عليه شعر تلك المناطق .

وإذا راجعنا هذه الأسماء وجدنا أنه مرّ بعدد منها أكثر من مرّة مثـــل زَوزن التي زارها في الأعوام ٤٢٧ ــ ٤٢٨ ــ ٤٤٣ هـ = ١٠٣٥ ــ ١٠٣٦ ــ ١٠٥١ م وخراسان ٤٣٥ ــ ٤٥٠ هـ = ١٠٤٣ ــ ١٠٥٨ ونيسابور ٤٢٥ ــ ٤٢٧ ــ ٤٦١ ــ ٤٦٣ ــ ٤٦٦ هـ = ١٠٣٢ ــ ١٠٣٥ ــ ١٠٦٨ ــ ١٠٧٠ ــ ١٠٧٣ بحيث كانت نهاية تَطوافه .

ونجده أحياناً يستقرّ أكثر من سنة في إحداها . إذ بقيَ في الريّ سنتي ٤٤٣ ــ ٤٤٤ هـ = ١٠٥١ ــ ١٠٥٢ م . ويزور أحياناً أخرى في سنة واحدة عدةَ بلدان كزيارته لمرو وهرات سنة ٤٤٥ هـ . وزيارته لجرجان ومرو والـــري وإسترَاباذ سنة ٤٤٤ هـ . وقد تصادفنا تعابير ذكرها الباخرزي ، مفادُها أنه ترك بلداً ليستقبل آخر ، وهذا يلقي ضوءاً على اتجاهه في رحلته كما في قوله : « واتفق أني وافيتُ نيسابور مُنصرَفي من البصرة » [2] .

ونراه في المقدّمة قويّ العزيمة ، شديد الشكيمة من أجل السفر . يستسهل الصعاب ويتحمّل وعثاءَ الرحيل ومخاطره ليبلغ مبتغاه [3] . غير أنّ الهمّة الشديدة لم تكن من أجل أيام أو شهور أو حتى سنوات قليلة . فقد كانت النيّةُ منـــذ

---

(١) أنظر مواقعها في المصور الجغرافي : ٢٥ .
(٢) الدمية : ٢٠٥/١ ، أو قوله : « وقد حضرت بغداد سنة خمس وخمسين وانحدرت منها إلى البصرة » (٧٤٢/٢) .
(٣) أنظر تصريحه في الدمية : ٢١/١ .

البدء أن تكون الرحلة طويلة الأمد ، وإلا لما كان هذا الوداعُ الذي لقيَهُ من صَحبه ومودّعيه حاراً ، ولمّا انهالت الدموعُ هكذا غزارا [١] .

وكم كنّا نودُّ معرفة سنة ولادته لنرى عمره أوانَ الرحيل . غير أنّنا نستشفُّ من كلامه أنّ الرحلة بدأت سنة ٤٣٤ هـ – ١٠٤٢ م ، ولا زال في سنّ الشباب اليافع ، ودون العشرين [٢] . وإذا عرفنا أنه حطّ عصا الترحال سنة ٤٦٤ هـ – ١٠٧١ م في نيسابور عرفنا أنه قضى ثلاثينَ سنة خالصةً لوجه العلم ، و « في مفخر يستجدُّه » . ولم يتوقف عن الترحال والتجوال إلا بعد أن هدّه التعب وفضحه الشيب . وقد وضع الباخرزي مخططاً منظّماً لأهم المحطّات التي حطّ الرحالَ فيها ، وذكر لنا أهمّ الاسماء التي قابلها في تلك البلاد . وأرانا مضطرّين إلى ذكر موجز هذا المخطط ، ليتّضح مبلغُ دقّته في تسفاره وعنايته في تصنيفه ، وأهم الشخصيات الأدبية التي قابل ، وأغلبها من أهل النحو والأدب والتصنيف والقضاء .

« أدركت بنيسابورَ من المقيمين بها أبا فضلِها ، وأخا أفضالها ، وابنَ ميكالها .. وثعالبيها أبا منصور ، .. وبلّت يدي من الطارئين عليها بالعميد أبي بكر القُهستاني . ورأيتُ بهراتَ .. قاضييها منصوراً ونصراً . وباصفهانَ أبا مطهّرها [٣] صاحب « طراز الذهب على وشاح الأدب » . وبهَمَذان أبَوي فرجها حمدَ بنَ محمد بنِ حسيل [٤] .. وابنَ أبي سعد بنِ خلف . وببغداد ابنَ

---

(١) سرت .. والمشيعون يذرون على الهواء فتات الأكباد ، والمودعون يزرون لعناق التوديع أعضادهم على الأجياد .. فلم يثن عناني عما عناني من الايضاع مقلة ينبوع ، ولا زمني عما أهمني من الاسراع بنانة أسروع » (الدمية : ١/١٨) .

(٢) « ... واستقبلت وطراً وودعت وطناً ، وذلك في شهور أربع وثلاثين وأربعمئة وعهد الصبا مخيم ما انتقل ، والوجه بالنبت موشم هم وما بقل ، والخطان المتواردان من يمينه ويساره لم يتصافحا » (١/١٨) .

(٣) ذكره الباخرزي في دمية القصر : ١/٤٢٨ .

(٤) ابن خسيل أو حسنيل. يرفعه نسبه وأصله ويخفضه دهره . وقد لفظته الغربة إلى بلاد خراسان فأدركته حرفة الأدب . وهو شاعر حسن البديهة كثير الغرر (تتمة يتيمة الدهر : ١/١٥٦) .

شبلها [1] .. وابن نحريرها .. وابن بَرْهان . وبالبصرة ابن قصبانيّها . وبواسطَ ابنَ بشران [2] . » وإذا بحثنا في تراجم هؤلاء الأعلام أدركنا أهمية مَن قابل وتقديره لشخصيات عصره المرموقين .

وبعدَ هذا المخطط يعود فيذكر منتخباً آخر من الأسماء قابلَها في تلك البلدان نفسها . وإذا قارنّا بين أسماء المخطط والمنتخب الآخر علمنا أنه ذكر في البدء ذوي الشهرة ، وفي الثانية مَن هم أقلُّ مرتبةً وإنتاجاً ومكانة .

على أنّ الباخرزي ، وإن كان له فضل المقابلة العلمية لهؤلاء العلماء ، وأخذه عنهم [3] ، لم يذكر ربع الأسماء الواردة في الدمية ، والتي يبلغ عددها ٥٣٠ شاعراً ، إما لانه نسي ذكرها ، وإمّا لانه لم يلقَها فأخذَ عن رواتها . وكنا في بعض الاحيان نراه يذكر لقاءَه هؤلاء الافاضل مشفوعاً بالسنوات ، وهذا فضل (على قلّته) يضيء لنا الكثير من الأمور المتعلقة بجولته هذه ، ففي بغدادَ مثلاً قابل ابنَ بَرهان النحوي سنة ٤٢٥ هـ ، وفي نيسابور قابل أبا سعيد سنة ٤٦٦ هـ . كما قابل عبد الصمد الطبري [4] في نيسابور سنة ٤٢٥ هـ [5] . وقد يخبرنا أنه طالع في بعض هذه البلدان ، غيرَ الافاضل والشعراء ، بعضَ الكتب ،

---

(١) هو محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن شبل البغدادي . شاعر حكيم من أهل بغداد مولداً ووفاة ، أقرأ علوم الفلسفة والأدب ونظم الشعر الجيد ، وكان ظريفاً ونديماً . توفي سنة ٤٧٣ هـ - ١٠٨٠ م . (وفيات الأعيان : ١/٥٢١) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن سهل ، أبو غالب ، المعروف بابن بشران . أديب وله شعر رقيق . كان معتزلياً وله كتب وديوان . وولد بواسط وتوفي فيها سنة ٤٦٢ هـ - ١٠٦٩ م . (لسان الميزان : ٥/٤٣) .

(٣) قال : « وقد وليت وجهي شطر الفضلاء والوجاه ، وبسطت حجري لالتقاط درر الشفاه » (الدمية : ١/٢٠)

(٤) هو أبو القاسم عبد الصمد الطبري ، كان كاتباً في ديوان الرسائل . ولد بنيسابور وتأدب فيها ، وله نظم ونثر (تتمة اليتيمة : ٢/٧ - دمية القصر : ج ٢) .

(٥) ج٢ ، وتؤيد هذه السنة أنه بدأ رحيله ومقابلاته قبل بدء إعلانه الرسمي سنة ٤٣٤ هـ .

وزار المكتبات . وهذا يلقي ضوءاً آخر مهماً على طريقة بحثه ونقله واهتمامه .

حاولنا تصوير تجوال الباخرزي الطويل في هذه الصفحات القصار . وعلى الرغم من أنّ رحلته في الأصل كانت في سبيل جمع المعلومات ومقابلة الأعلام والشخصيات ، فانه يحسن أن نعلم أنّ التجوال يحتاج إلى كنز لا يزول ، ولم يكن الباخرزي من تلك الأسر الغنية . لذلك نجده يتنقّل من بلد إلى بلد آخر . ويشتغل فيه ليسدّ به رمقَه . ويقيم أوَدَه في خدمة بعض الأمراء . في الدواوين أو في المكتبات أو في نَسخ بعض الكتب . وقد نجده يرحل في ركاب بعض الأمراء ، ونظام الملك خاصة . فيستغلّ هذه الرحلةَ في سبيل جمعه المعلومات . وتدوينه المنظومات كقوله : « وطئتُ البصرة في جملة عميدِ الحضرة »[1] .

وهذه الوسيلة التي ذكرناها هي أكثر اعتباراً لدى طبقة العلماء . لأنها تبيّن حرص الأديب الرحالة ومعاناتِه ، في سبيل كفاحه من أجل قضيته التي أزمع إنجازها .

---

(١) الدمية : ٨١/١ .

٤ ـ ملامح ثقافته

بعد أن استعرضنا نشأته العلميّة ، وتعرّفنا على ركائز ثقافته في الصفحات السابقة ، نتساءل : وما أثرُ ذلك على دميته ؟ وهل هناك ما يلقي ضوءاً على العلوم التي جنَاها ؟ فمن البديهي أن تَنطبع في نتاج الكاتب الثقافاتُ التي جمعَها والفنون التي عاصرته . وما دامت الدمية هي الأثر الفني المتكامل بين أيدينا فلنعُد إليها نَستقرئها معرفةَ الباخرزي الذي غُذّيَ بِها من شيوخه ووالده ورواته .

أوّلُ ما يطالعنا في الدمية أنّ صاحبها حافظ للقرآن والحديث ، مُطّلع على الأدبين الجاهلي والإسلامي ، ناهيك عن أدب عصره الذي عاشه ونقله ، فتناقلَه الناس عنه . ثم هو نقّادٌ لغوي وأدبي وبلاغي ، إذ كانت ثقافةُ الاديب في العصر العباسي هي « الاخذ من كلٍّ علمٍ طرفاً » . وبعد أن ننعم النظر في الدمية نعلم أنّ الباخرزي أديب ناضج الادب ، متصنّع تامّ الصنعة (وذلك بما يناسب رغبات الفترة التي عاشها) ، عليم بحاجات العصر الأدبيّة .

ونكشف في الباخرزي مقدرة على سكب معرفته في قالب كتاباته ، فنراها معروضة عرضاً مباشراً حيناً . وحيناً آخر منثورة نثراً غير مباشر . فقد يستشهد

بالآية أو بالبيت أو بالخبر استشهاداً [١] ، أو يقتطع بعض ما يستشهد به أو يلمّح عنه تلميحاً [٢] . ويدلّ إكثاره هذا على مقدرة بارعة في الباخرزي . وقد نجده يكتشف سرقةً أو اقتباساً أو تضميناً ؛ فإذا مرّ ببيت البركَنْزدري :

تَفتُّ المرء حيثُ يقضي حلالُ وجَمالٌ يحقُّ أنْ تَقتَنيه

فإنه سرعانَ ما يقول لك : « قد أحسن الاقتباس » [٣] .

ومقدرته على الكشف ليست في القرآن وحسب ، بل يتعدّى ذلك إلى الأدب عامة ؛ شعرِه ونثرِه وأخباره . وهو عندما يريد أن يكتب أو يترجمَ لاحدٍ من الأدباء نراه يكثر من الامثال العربية مبذولةً في عرض كلامه ، كقولـه : « فأَجراها أحسن مجاريها ، وقل في القوس أعطيت يد باريها » [٤] من المثل لعروف : « أعطِ القوسَ باريها » . . وهو عندما يريد أن يعرّف بأحد الشعراء ، فانه لا يقول لنا إنه شاعر غزِل يسحر ألباب الغانيات ، بل يقول لك: هو كابنِ ربيعةَ ، أو إذا كان مدّاحاً شهيراً مدحه بأنه كحسان . وإن كنا نجدُ مثل هذا متفرّقاً في تضاعيف دميته فقد تتجمّع الأوصاف ، وتطلق على أحدهم كأبي جعفر البحاثي [٥] .

وهذا يدلّنا طبعاً على اطلاع واسع على ما حوت المكتبة النظامية بنيسابور

---

(١) الدمية : ٢٤٨/٢ .

(٢) الدمية : ١٦٩/٢ .

(٣) أنظر باقي الخبر في الدمية : ٧٩٥/٢ .

(٤) دمية القصر : ٢١٨/٢ ، وانظر : ٨٤٩/٢ زيادة في التوضيح .

(٥) « إن أجم الجد بالفكاهة في الأحيان فمنحوت من نبعة ابن الحجاج ، وإن نشط لمغازلة الغزلان فموصوف بظرف ابن أبي ربيعة في وصف ما تضمنته هوادج الحجاج ، وإن استب فأحد الفحلين جرير والفرزدق .. وإن دب فالملك الضليل يسمو إلى صاحبته سمو حباب الماء ، وإن أطرى فابن ثابت حسان وقصائده في غسان تلك الحسان »

(دمية القصر : ج ٢) .

أو دار العلم ببغداد أو المكتبات الخاصة لعدد من الفضلاء الذين زارهم وترجم لهم أو انتخب من مؤلفاتهم التي طالعها .

على أننا نجد الباخرزي أحياناً يستشهد ببعض الأشعار . دون أن يذكر لنا أصحابها ودون أن يلمّح . ويعسر علينا كشفهم ، فنحارُ ، أهي من أشعارِه ؟ أم من أشعار غيره ؟ وقد يحدّثنا الزمان يوماً عن قائلها بعد أن يُكتشف ما عزَّ كشفه من المخطوطات العربية .

فإذا عرضنا بعض ثقافة الباخرزي ، وأدركنا مقدرته الفنية في استخدامها ، وأضفنا إلى ذلك علمَه بالنقد الأدبي والبلاغي والنحوي – مما سنراه في حينه ، وبالتفصيل – أجمعنا ، وبكل تأكيد ، على أنه أديب وشاعر وناقد .. طالع علوم عصره وسكبها في كتاباته وترجماته وقدّمها لنا سائغة العرض ، ليّنةَ السِّواغ .

٥ ـ مصادر الباخرزي

تيسّر للباخرزي في أثناء تجواله العلمي الذي أفضنا في الحديث عنه ، أن يطّلع على كتب عفّى عليها الزمان ، ودواوين فقدتها الأيام . وقد شاءت الأقدار أن تمُنّ علينا بالباخرزي وأمثال الباخرزي ، ليعرّفونا بالكتب والدواوين ، وبالمكتبات العامرة في تلك الأيام ، التي ضاعت الآن . وإن كنّا نأسف على فقدانها فاننا نقنع بالتعرّف عليها إثر اتصالنا بهؤلاء الكتّاب ممن استقوا من تلك الكتب ، ونهلوا من مَعينها الثّرّ .

وإن ضنّ الباخرزي علينا بالكثير ، فانّ هذا القليل يستحقّ التقدير . إذ ندرك من ورائه الحركة الأدبيّة والشعرية في تلك المرحلة الغامضة المظلمة من العصر العباسي ، وفي تلك الأصقاع البعيدة عن جوّ الحركة الأدبية العربية . كما أنّ اطّلاعه على المكتبات الكثيرة يدلنا على غزارة المفقود من شعرنا العربي وأدبه ، وهو ـ كذلك ـ برهان على مدى ثقافته ، وعلى سعيه الزائد لنشدان الدقّة في الجمع والتبويب .

ومن أهمّ الكتب التي كان اعتماد الباخرزي عليها ، كتابان حوَيا نماذجَ من الشعر والشعراء لا تحصى . فيحدونا الأمرُ على أن نضعهما في مصاف كتب

الأدب والتراجم الكبيرة ، الأول هو « جونة الندّ » تأليف « يعقوب بن أحمد النيسابوري » ، والثاني هو « قَلائد الشرف » تأليف « أبي عامر الفضل بن اسماعيل التميمي الجُرجاني » ، وكلا المؤلفين من أوائل رواته المعتمدين بالاضافة الى كتابيهما . كما أنه اطّلع على كتاب « طراز الذهب على وشاح الأدب » تأليف « أبي المطهّر » . والكتب الثلاثة فيما أعلم ، مفقودة .

ولعلّ من نافلة القول أن نذكر عدداً من أسماء الشعراء الذين طالع دواوينهم لنقدّر كثرتها . ونتعرّف على طريقة انتخابه منها ، وعسى أن يتكرّم الزمان علينا بكشفها . من هؤلاء الأدباء :

الثعالبي [(١)] . أبو الفرج بن هند والقُمّي . أبو الفرج علي الموفّقي [(٢)] . ابن شبل ، أبو الفتح نصر بن سيّار ، مهيار بن مرزويه ، أبو محمد المخزومي . أبو بكر القُهستاني ، أبو أحمد منصور الأزدي [(٣)] ... وغيرهم كثير ، والدواوين كلها – تقريباً – مفقودة ، تناثرت بعض أبياتها في كتب الأدب العربية والفارسية ، وللدمية الحظّ الأوفر من هذه الأبيات .

وقد يذكر الباخرزي المكتبات التي قرأ فيها هذه الدواوين ، ويمكننا بها أن نقف على حرصه في البحث ، وكذلك على عناية الأدباء بتأسيس المكتبات الخاصة ، وعلى عناية الأمراء كذلك بتأسيس المكتبات العامّة . ومن أهم المكتبات التي رجع إليها ، واشتغل بها « بيت الحكمة » [(٤)] ودار العلم وخزانة عميد الملك والخزانة النظامية بنيسابور ومكتبة الشيخ ناصح الدولة الفندُورَجي . [(٥)]

---

(١) قال في الدمية : « وجدت بعد وفاته مجلدة من محاسن أشعاره .. فالتقطت منها ما يصلح لكتابي هذا من أوساط عقودها » (١٥٢/٢) .

(٢) وقال : « رأيت له ديوان شعر كبير الحجم ، فاخترت منه هذه الأبيات .. » (٤٨٦/١) .

(٣) يذكر الباخرزي أن ديوانه يبلغ ٤٠ ألف بيت .

(٤) كان أغلب هذه المكتبات تابعاً للمدارس النظامية .

(٥) فقد قال في ديوان علي بن محمد الباسفري : « ... رأيت ديوان شعره على حروف المعجم في=

فاذا أضفنا إلى عشراتِ الدواوين التي مرّت بنا ، عشراتِ المدن التي جابها بمكتباتها وبأفاضلها وعشرات الرواة الذين نقل عنهم ، أدركنا قيمة الدمية من حيث احتواؤُها ، ومن حيثُ حرصُ الباخرزي على الصدق في الأداء ، وعلى التقصّي في الجمع ، والجنْيِ الحسن من فنون العصر .

وعلى هذا فانّ مصادر الباخرزي الأولى في عمله هي : المكتبات والمؤلفات والاتصال المباشر الذي كان يعقده مع الأدباء أو مع رواتهم مستعيناً على كلّ ذلك باللغتين العربية والفارسية .

= خزانة الشيخ الفقيه ناصح الدولة أبي محمد الفندورجي بتفسير الخارزنجي ، فالتقطت منه هذه الملح » (٢/٢٥١) وانظر كذلك في (١/٣٤٦ - ٤٨٨ و ٢/٢٢ - ٢٦٦ - ٢٨٢) .

٦ ـ شعره وشاعريته

ا ـ الديوان

رأينا، قبل أن نتحدّث عن شعره شاعريته، أن نشير إلى ديوانَيْه العربي والفارسي. فقد أشارت الكتب القديمة الى وجودهما: فالحَنبلي يقول: « وديوان شعره مجلّد كبير، والغالب عليه الجودة »[1]. ويزيد القزويني (وهو من كبار مؤرخي الفرس): « .. أكثره في مدح نظام الملك وبعض الادباء »[2] ويقول الباخرزي نفسه في أثناء ترجمته للغانمي الهروي: « اختلف إليّ بنيسابور. وحصّل ديوان شعري، وانتسخه من جمعي، وأمرَّه على سمعي »[3].

ويذكر بروكلمان[4] أنّ له ديواناً، واسمه: « اختيار البِكر[5] الثيِّب من شعر علي بن أبي الحسن بنِ الطيِّب »، جمعه « أبو الوفاء محمد بن محمد

(١) شذرات الذهب: ٣٢٨/٣، وقد وردت الجملة نفسها في وفيات الأعيان: ٦٨/٣.
(٢) آثار البلاد: ٣٣٨.
(٣) الدمية: ١١٧/٢
(٤) بروكلمان: ٢٩٢/١
(٥)ورد اسمه في ذيل بروكلمان (٤٤٦/١): اختيار الباكر.

الأخسيكثي » . وذكره ياقوت [١] وصاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة [٢] . غير أنّ الديوان الذي بين أيدينا ونشرناه في هذا الكتاب ، إنْ هو إلاّ ست عشرة ورقة ، كل ورقة صفحتان ، وفي الصفحة واحد وعشرون سطراً [٣] . وعثرنا كذلك على نسخة أخرى له في ختام النسخة الاحمدية لدمية القصر ، وقد كُتب في ختامها : « آخر الملتقط من ديوان أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي ، والحمدُ لله وحده ، وهو حسبي وكفى » ، وهي التي أشارت إليها الموسوعة الإسلامية الفرنسية .

وعلى هذا ، فلا يعدو ما بين أيدينا أن يكون منتخبات من ديوان كبير ، انتخبَه أحدُهم ، ولا يُعرف من هو ، إن لم يكن أبا الوفاء الاخسيكثي نفسه . وإلى هذا أشار القزويني ، فيما نعتقد ، بقوله : « التقط من ديوانه الأبيات العجيبة قدر ألف بيت سمّاه « الأحسن » [٤] ، وهو موجود في لندن [٥] . و « الملتقط » يقدّر بهذا العدد إلا قليلاً .

غير أننا لم نكتف بذلك ، بل ضمَّنّا إلى الديوان ما انتشر من شعره في كتب الأدب العربية والفارسية كمعجم الأدباء ولباب الألباب ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ووزارت در عهد سلاطين بزرگ . بالاضافة الى القصائد والقطع والأبيات التي بثّها الباخرزي نفسه في دميته مستشهداً أو مقارناً . فكان ما بين أيدينا أشبه ما يكون بالديوان ، إلا أنّ علائم النقص تبقى بادية عليه لوجود المُجتزأ من القصائد الطويلة .

ولقد عثرنا كذلك على اسم ديوانه الفارسي « طرب نامه : كتاب

(١) ذكر ياقوت أن له ديواناً كبيراً ولم يسمه : ٣٤/١٣

(٢) تأليف محمد محسن الطهراني .

(٣) من النسخة النمساوية ف ٢ .

(٤) آثار البلاد : ٣٣٨

(٥) الموسوعة الاسلامية مادة (باخرزي) .

الطرب » ، وهو عبارة عن رباعيات فارسية مرتّبة على حروف المعجم . ويقول العوفي : « وهو معروف ، وقد وجدتُه في بخارا في مكتبة سربل » [1] . إلا أننا لم نعثر إلا على بعض الأبيات والرباعيات ، ذكرناها في خاتمة الديوان مع ترجمتنا لها .

ب ـ رأي القدماء في شعره

لقد أبدى بعض الأدباء رأيَهم في شعر الباخرزي ، إلاّ أنّ هذا الرأي لا يقوّم شاعريته ، لأنهم قالوا كلاماً عاماً مُبالغاً فيه كعادتهم في التعريف بالأدباء حيث يَميلون الى السجع وتوازن الجمل ، ونحن إذا عصرناها ما حصلنا على شيء كقول العماد الاصفهاني : « كان واحد دهره في فنّه ، وساحر زمانه في قريحته وذهنه ، صاحب الشعر البديع والمعنى الرفيع » [2] .

ومما لا شكّ فيه أن الباخرزي قرضَ الشعر صغيراً ، واشتهر به كبيراً ، فقد صرّح في دميته بقوله : « وكنتُ في ريعان الصبا أنغّم بالشعرِ مُخافتاً به غير مُجاهر ، وأنطوي منه على باطن يبشّرُ بظاهر [3] » . وهذا يدلّ على انطباع الشعر في روح الباخرزي وتأصّله فيها .

يتبيّن مما مضى ، ومن اعتراف العماد في خريدته [4] أنّ شعر الباخرزي ظلّ إلى زمان العماد مشهوراً متداولاً . أما العوفي فانّه يعتبر شعرَ الباخرزي

---

(١) لباب الألباب : ٦٨ – ٦٩ .

(٢) وقد نقل ياقوت هذا الكلام في معجم الأدباء (٣٤/١٣) ، وشبيه هذا القول بقول ابن خلكان في (وفيات الأعيان : ٦٦/٣) ، وقال العوفي ما ترجمته : « أشعاره العربية بغاية السلاسة ونهاية اللطافة » (لباب الألباب : ٦٧) .

(٣) وكقوله في المقدمة (١٥/١) : « عزمة مني على صياغة الشعر تبيض في فؤادي وتفرخ في رأسي » .

(٤) إذ قال : « ولقد رأيت أبناء العصر في أصفهان مشغوفين بشعره متيمين بسحره » واستشهد ياقوت بقوله في (٣٤/١٣) .

ونثره في أيام الشباب أفضل وأمتن من مرحلة النضج والاكتمال [1] . إلا أننا لا نستطيع مسايرةَ هذا الحكم لافتقارنا إلى أدلّة صحيحة ، ولعدم توصُّلنا إلى نتاجه كاملاً أو مؤرخاً . ومع اضطراب هذه الأحكام فاننا نستشفُّ من ورائها أنّ آراءً كانت تُعقد في تقويم نتاجه ، وأدباء كانوا ينتقدون أعمالـــه الأدبيّة .

ولعلَّ مما يناقض حكم العوفي أنه لما وردَ بغداد سنة ٤٥٥ هـ - ١٠٦٣ م مدح القائم بقصيدة . فاستهجنَ البغداديون شعرَه أولَ الأمر وقالوا : فيه برودةُ العجَم . فانتقل إلى الكرخ وسكنها ، وخالط فضلاءَها وسوقتهـــا مدة ، وتخلّق بأخلاقهم ، واقتبس من اصطلاحاتهم ما ساعدَه على التخلّص من تلك البرودة ! ثم أنشأَ قصيدته التي مطلعُها :

هبّتْ عليَّ صَباً ، تكادُ تقولُ : إنّي إليكَ من الحبيبِ رَسولُ

فصار البغداديون الى استحسان شعره ، وقالوا : « تغير شعره ، ورقَّ طبعه » [2] .

ولا نعلم ماذا أنكر البغداديون عليه ، وماذا كان هدفهم من (برودة العجم !) . أكانت متعلّقة بطريقة إلقائه ونطقه وما عنده من لكنة الفرس ؟ أم أنها طريقته في التعبير ، وهي تخالف منهج البغداديين فيما يبدو ؟ أم أنهم أنكروا عليه شيئاً آخر مما يتعلّق بالمعاني أو غيرِها ؟ وما لبث أن أتقنها إذ عاشَ بين ظهرانيهم هذه المدة الوجيزة ، فمالوا إلى شعره بعدَئذ ؟ . فاذا كان هذا التساؤل صحيحاً فقد يكونُ رأيُ العوفي أنه كان يسايرُ أهلَ عصره من الفرس أيامَ شبابه ، ثم خالفهم بعد أن وافق البغداديين. وقد مدحه أبو الفتح الحسن الضيمري ببيتين هما :

---

(١) لباب الألباب : ٦٧ .

(٢) معجم الأدباء : ٣٩/١٣ ؛ دائرة المعارف : ٢٦٢/٣ .

كلامُكَ معجزٌ وكذاكَ خِلوٌ من العيبِ المُهجّنِ للكلامِ
فدعْ باخرزَ حقّاً عنك واكتبْ نظامَ المعجزِ الحسنِ النظامِ

جـ – جولة بين أغراضه الشعرية

مع أنّ ما انتهى إلينا من شعر الباخرزي لا يُعتبر كل ما نظم فانّ هذه المجموعة تعطينا – إلى حدٍّ معقول – رأياً في شعره وشاعريته . فقد نظم في أغلب الأغراض الذاتية والتقليدية والمناسبة للعصر الذي عاشه . ومن أهم ما عالج :

١ – الفخر :

ساير الباخرزي اختلاف الفخر الذي مرَّ به الشعر والشعراء حتّى بلغ المرحلة العباسية التّي خُلق فيها وجال . وقد برز فخره في جميع المجالات التّي خاضها شعراء القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وهي بعيدة كل البعد عن الفخر العربي في العصرين الجاهلي والاسلامي دون أن يتبنّى ناحيةً معينةً من النواحي التّي اختصّ بها شعراء العصر العباسي الحضاري . إذ أننا نراه يفتخر برقّة دينه واظهار إلحاده ، وإن لم يكن ملحداً ، وبغزله في الغلمان ، وبشربه الخمرة ، وتحرُّره من قيود الدين التّي تمنع غيره ، وهي نقاط ركّز عليها الشعراء قبلَه كأبي نواس وبشار ، وما هو إلا مردِّد مُعيد . كما افتخر بتكبّره وبعلوٍّ مقامه ورغبته في طلب المجد الرفيع :

ولستُ لأرضِ الهُونِ حِلساً ،وإنْأرُمْ سماءً من الجاهِ الرفيعِ فأَجدِرْ بي[1]

ونراه كذلك يفتخر ببطولته وصولته وبراعته الحربية . أما عدوُّه الذي

---

(١) وكقوله :

يرى جسدي حب العلا فتهدمت ورحلي على الحرف العلاة مشيد

صُمّت آذانه من زئيره [1] ، مع أننا لم نجد في تاريخ حياته أو بين ثنايا شعره ما يؤيد مُشاركته في الحروب أو حتى مشاهدته لها . ولعلّه أحبّ أن يُدلي بدلوه في واحة الشجاعة والجرأة حتى لا يقال إنه لم يخض المعامع ولم يقاتل .

ومن دواعي افتخاره الاولى تفوّقه على الآخرين بشعره — وهذا اللون من الفخر ، هو ما امتاز به شعراء هذه المرحلة — ونحن نعلم أن الشعراء يمتدحون ما يقولون ، ويعتبرونه مجدهم الأثيل ، دون التقيّد بعصر ، وما مثل هذا الفخر يحصل دوماً . وقد قال الباخرزي وكأنه المتنبّي :

قل للذي يَبْتغي جـاهي ومَنزلتي : راجـعْ يقينك واستكشفْ غيابتهُ
فلي قوافٍ سلبْنَ النّحْلَ ريقتَــهُ والماءَ رقّتَـهُ والسحرَ رُقْيتَـــهُ

وإذا كان فخرُه بنفسه وبشعره قليلاً فانّ فخرهُ بدميته كبير ، فقد تكرر ادّعاؤه الابداع فيها ، وأكثر من تصوير المَشقّة التي عانى بسببها . ومـا القصائد التي أجلّت عمله وأثنت عليه في ختام الكتاب إلا تغطية لإعجابـه بنفسه وتعبير عن حبّه للفخر .

٢ — المديح :

لم يَخرج الباخرزي عن الصفات التي تطلق على الممدوح عادة في العصر العباسي من مدح بنصر ، وتهنئة لفنّ ، واشادة بأخلاق حسنة ، وتعدد للشمائل الكريمة ، وتشبهها بأرج الأزهار ، وكرم زائد يضارع الفراتَ بل البحر ، ثم بحُسن الكتابة وبراعة في مسلك السيف والقلم .

وإذا رأينا أنّ أمثال : النابغة وجرير والفرزدق وأبي نواس والبحتري وأبي

---

(١) في قوله :

أيرى العدو وقد تعـدى طوره ألا أشق صمـاخه بزئيـري ؟
ويدي مساعدتي وسيفـي ساعدي والرمح ظهري والسنان ظهيري

تمام والمتنبي وغيرهم من زعماء المديح في الشعر العربي ، يسعون وراء حثّ الممدوح على السخاء والكرم ، فلا عجبَ إذاً ان نرى بعد تلك العصور الأدبية المُزدهرة أمثال الباخرزي والتهامي والقُهستاني ، يتهالكون على الممدوح ، ولا يختلفون بذلك عن أولئك الأعلام في التمدّح والتكسّب إلا في الضعف الأسلوبي و في انعدام شخصية الشاعر في سبيل جمع المال . وما نظـام الملك في شعر الباخرزي إلا صورة لسيف الدولة في شعر المتنبي .

نجد أغلب شعر الباخرزي المدحي يبدأ بمطالع غزلية وطلليَّة تقليداً للشعراء الأقدمين ، وخاصة إذا كان الممدوحُ الخليفةَ القائم [1] أو نظام الملك أو الوزير الكندري . وتعتبر قصائد المديح في شعره أكثر طولاً ، كما أنه يُوليها الاهميةَ المستفيضة من أسلوب ومن صور . أما الصفات التي كان الباخرزي يغدقُها على الممدوح ، ويلحّ على ذكرها في شعره فقد كانت : الكرم الزائد وذلك حثّاً على الاغداق [2] ، ووصف الممدوح بالقدرة الفائقة على تلبية ما يرجى منـه كتشبيهه الوزيرَ الكندريَّ بالمارِد [3] ، ورسمِه الممدوح بطلاً شجاعاً غيرَ هيّاب . ثم هناك حسن الأخلاق الممتزجة بنَور الرياض كما في مديحه « ختَلْغ بلك » [4] . وتسنُّمه مقاليد الأمور عن أصالة ، وحلّ أمور الدولة عن جدارة ، وبراعته بالخطّ والخطابة ، ومعرفته لبعض علوم العصر كالفلك ، الذي يعتبر أحد علوم العصر البارزة . وقد جمع الباخرزي كلَّ هذه الصفات في لاميّة طويلة مدح بها الوزير نظام الملك ، والتي قال منها :

---

(١) قال في مطلع مديحه للقائم :

أقوت معاهدهم وشط الوادي	فبقيت مقتـولا وشط الوادي
وسكرت من خمر الفراق ورقصت	عيني الدموع على غناء الحادي

(٢) كمديحه أبا طاهر خلف بن الحسن :

جهـير النـداء كثير الندى	جزيل العطاء رحيب العطن

(٣)

كـأن في خـاتمه حيث ما	أومى بـه فص سليمـان

(٤)

ذاك الذي امتلكتني بيض أنعمه	وليس يحظى برقي غير ممتلكي
كأن أخلاقه من طيب نفحتها	نشر يجود به الروض المجود ذكي

إن خطّ خاطّ على قرطاسه حللاً ... يهدي به الوشيّ للاحياءِ والحللِ
وإن ترسّلَ أدّى سحرُه خدعاً ... يصغي إليهنّ سمع الأعصَمِ الوعِلِ
وإن تكلّم زلّ الدرّ عن فمِه ... في حجره وهو معصومٌ عن الزللِ
وإن تقلّد من ذي إمرةٍ عَملاً ... وجدتَه علماً في ذلك العملِ
وإن تفحّص أحوالَ النُّجومِ درى ... ما حُمّ من أجلٍ في الغيبِ أو أمل
قالوا : أتشكر نعماهُ؟ فقلت: أجل ... لو مُدّ لي طِولٌ مُرخىً من الأجَلِ

وهو إذا أراد مدح نقيب الطالبيين الشريف علي بن موسى ، لم يقصِّر في مدحه بما يناسبه ، على أنّه من آل البيت ، فقال :

عليّ بن موسى مُواسي العُفاةِ ... أبي القاسِمِ السيِّدِ المُوسوي
نماهُ الفخارُ إلى جدّه ... عليّ ، فطار بجدّ عليّ

ومديح آل البيت ناحية بارزة في عصره ، اهتمّ لها الشعراء كافّة . فلا يشترط أن ينتسب الشاعر إلى سيدنا علي ، أو أن يكون من شيعته حتّى يشيد بتاريخ أبنائه وأمجادهم . وما نقوله عن هذه الفئة نقوله أيضاً عن بني العباس الذين ينتسبون إلى العباس (رضي) عمّ الرسول . وقد استغلّ الشعراء هذه الخَصْلة في الخلفاء ، وركّزوا عليها في أثناء مدحهم إياهم . والباخرزي الذي عاصر القائم وقابلَه ، لم يكتف بوصفه بالبحر كرماً وتشبيهِ كفّه بالفرات سخاءً ، بل إنه مال إلى تلك الخَصلة التي أشرنا اليها [١] .

---

(١) والتي منها :

إلى أبي البحر إني لست أنسبه ... لجعفر إن حماه شارب نضبا
يوم الوغى من بني العباس عترته ... لكنه غير عباس إذا وهبا
قل للفرات : ألم تستحي راحته ... حتى اقتديت به ؟ أنى ولا كربا

٣ ـ الخمرة ومجالس الأنس :

إن قلنا لقد تطوّر شعر الخمرة في الأدب العربي ، فإنما نعني بذلك اتساعه ، وكثرةَ روّاده ووصّافه فقط . والخمرة التي شربها الباخرزي هي الخمرة ذاتُها التي شربها الأخطل وأبو نواس وصحبهما . والساقي الذي سقاهما سقاهُ . ألم يكن الساقي هو نفسه رفيعَ الخصر ، ليِّنَ الحركات ، كثير الغُنج ، يكاد يذوب نعومةً ؟ ألم يكن غلامُ أبي نواس متجاوباً مع الشاربين والراغبين فيه ؟ إنه لكذلك في شعر الباخرزي . لذا فاننا لا نرى كبير فرق ، اللهمَّ إلاّ في الكثرة والاختصاص ، فما وصل إلينا من شعر الخمرة عند الباخرزي لا يعدو أن يكون مقتطفاتٍ أو مطالعَ ، غير أن هذه القطوفَ القليلة كفيلة بأن تُعطينا صورةً جريئة لنفسيته وميله وميل عصره إلى الخمرة ، وإلى ما يلوذ بها .

فالخمرة في شعره مُزيلةٌ للهموم ، والليلُ عنده جمّاعٌ لها . وبها يزول الكرب ، وبالليل يعذب الشراب (١) . والساقي هو الذي يدير الخمرةَ على الجُلاّس ، ولكنّه يريدها مشفوعةً بآلات الطرب والعزف على الأوتار ، لتُضفي على مجلسهم الأنس والمَسرَّة (٢) . ويظلّون على شرابهم حتى تضمحلَّ قواهُم ولا يقدرون على النُّهوض :

قُم يا غلامُ وسَقِّنها قهوةً ... تَذَرُ الصحيحَ كأنه مَفلوجُ

وحتى يتخيّلوا أنّ الفيلَ يَلجُ سمَّ الخِياط (٣) .

ولم يُهمل الباخرزي كأس الخمرة الزجاجيةَ اللامعة ، فبها يعذُب الشراب

---

(١) ارغب بسمعك عن مقال اللاحي ... واقدح زناد الهم بالأقداح
وإذا دجا ليل الهموم فسل عن ... دن المدامة فالق الإصباح

(٢) يا حبذا الساقي يدير بنانه ... راحاً ، تفيد براحة الأرواح
وكأنما الأوتار عن حسنائها ... نطقت بألسنة لهن فصاح

(٣) لم يسأموا شرب الطلا حتى بدا ... للفيل في سم الخياط ولوج

ومِن خلف بلّورها الرقيق تَبينُ الخمرةُ ورديّةً ناريّةَ اللون [١] . وينادي ساقيَهُ ليسقيَهُ ، ولكن ليس قبل انبلاج نُور الصباح ، ولا قبل غياب النجوم ولا مع الليل — كعادته ، وكعادةِ الشَّرب — إنما يناديه هذه المرّة لأنّ الثلوجَ قد علَتِ القمم ، وبانَتْ في أعالي السماء كالعِهْن المندوف .. ويُذكِّره هذا — فيما نعلم — ببلاده المُثلجة [٢] .

والرقّة في الدين من علائم الطرب أثناء الشراب . وإذا لم يَمْتهن الشَّرب دينَهم ، ويتنادَروا عليه فلا يعذُب احتساؤها :

مع عصبةٍ رُزقوا الحِجى في دينهـــم   لكنَّهم عنـــد الشرابِ عُلـــوجُ

وقد لا يكون شاربها مهملاً لدينه ، ولكنّ التظاهر بذلك ضروريٌّ ومحبّبٌ [٣] . أمّا الباخرزي فقد شربها مراراً ، وكان يعقد مجالس الانس تكراراً ، وكما ذكرنا أثناء حديثنا عن مَقتلِه ، أنه اغتيلَ في مجلس أنس .

٤ — المرأة والغلام :

نادراً ما نجد شاعراً في العصر العباسي لم تكن له تجربةٌ في الغزل ، عاشقاً أو غير عاشق ، لأنّ الغزَلَ غدا من ضرورات الشاعر العبّاسي ، وخاصة في المراحل المتأخرة منه . غير أننا عندما نقرأ شعره لا نجده عاشقاً كجميل ، ولا زيرَ نساء كابنِ أبي ربيعة ، بل نجدُه يقول الغزل كغيره ، متكلّفاً بـــه ، ويصف محبوبتَه بأنها وردية الوجنات ، مُدلهمّة الاصداغ ، بدريّة الوجه [٤] ..

---

(١) وساق سقانـــي في أرق زجـــاجة   موردة ، من نورها النـــار تقتبس

(٢) ظهرت عـــلى قمم البروج ثلـــوج   وهوت كـــا يتطـــاير المحلـــوج
قم يـــا غـــلام وسقنيهـــا قهـــوة   تذر الصحيح كـــأنه مفلـــــوج

(٣) شرب المحرم في المحـــرم سنـــــة   فانشط له ، وامسح عن العين السنة
وإذا تـــلاسن في مـــلامـــك حاسد   فالحضرميـــة في قفـــاه ملـــنـــه

(٤) ودهشت حين رأيت في غلس الدجى   شمساً تصـــك البـــدر بالعنـــــاب
أحسن بوجنتهـــا وفـــاحم صدغها   كـــالبدر ملتحفاً بريش غـــراب

وهذا وصف مادي لا يمت إلى الغرام بصلة .

والجميل في غزله ذكرُه الطيفَ الذي يزوره بينَ الحين والحين [1] ، وهو الذي يأخذ بلبّه كما أخذ بلبٍّ البُحتري (صاحب طيف علوةَ) قبلَه ، ذلك أن الطيفَ لونٌ انتشرَ بين الشعراء في العصر العباسي ، وازداد ذكرُه في العصر السلجوقي .

وهو ، ان لم يحبَّ ولم يعشق ولم يكن الحب والعشق شغلَه الشاغل ، لم يذكر زوجه في شعره بخير ، والظاهر أنه لم يكن سعيداً ، مما نراهُ هنا وممّا سنراه في شعر الحكم والشكوى . فقد تلمّسنا ذلك من بيّتين يرحب فيهما بوأدِ المرْأة ، لأنَّ وأدها (من المكرُمات) فقال :

ألقبرُ أخفى سترةً للبناتْ	ودفنُها، يُروى ، منَ المكرماتْ
أما رأيتَ اللهَ ، عزَّ اسمُـــه ،	قد وضعَ النعشَ بجَنبِ البنَاتْ؟

وموقفُه في غزله بالغلام شبيه بموقفِه في غزله بالمرأة . فقد عرف غلاماً – أو أكثر – وطارحَه الغرام ، ووصفَه بأنه فاق الحسانَ ملاحةً ، فخدّاهُ مُورّدانِ ، ووجهُه كالبدر [2] . ولم يخرج ، في كل أوصافه ، عما وصفه الأسبقون .

والعذار هو الذي يأخذ بمجامع قلبِه ، شأنُه في ذلك شأنُ الشعراء الآخرين. ويشبهه بالخط الجميل ، وجودة الخطَ هذه تُبرر جمالَ خطِّ العذار ،فاسمعْه :

قد قلتُ ، لما فاقَ خط عـــــذارِه	في الحسن خطَّ يمينِه المُستملَحـــا
مَن يكتبِ الخطَّ المليحَ لغَـــيره	فلنفسِه ، لا شكَّ ، يكتُبُ أملحا

---

(١) لـه الله من طيـف يزور ، وبينه وبيني رمـال جمـة وسباسب
فللكـدر في أطرافهـن مشـارب وللعفر في أكنافهـن مسارب

(٢) أفدي الـذي ساد الحسان ملاحـة حتى تواضع كلهـم لسيادتـه
ضاجعتـه والورد تحـت لحـافه ولثمته والبـدر فوق وسادتـه

وهو إذا أُما صيبَ بالزكام ، واضطرَّ إلى هجر محبوبه « بديع » ، فانــه يعتبر هذا الزكام بسبب شمِّه وردَ خدَّيه . والزكام – على حدٍّ قَولِه – ينتقل بشمِّ الورد [1] .

٥ – الهجاءُ والفحش :

من أشهر الأقاصيص التي سجلتْها كتبُ الأدب عن الباخرزي قصــة هجائِه للوزير الكندري عندما كان تلميذاً في الكُتَّاب ، إذ قال لَهُ :

أقبلَ مــن كُندرٍ مُسَيخرةٌ   للنحسِ في وجههِ علامــاتُ
يحضر دورَ الاميرِ وهــو فتىً   موضعُ أمثالِـــه الخَراباتُ

وتابع الباخرزي الهجاء بعد مرحلة التلمذة ، وأكثر فيه . فقد هجا صديقاً له اسمُه « صَخر » ونعتَه بالبُخل [2] ، وتضايقَ من صديق له حَدّادٍ في بلدة « مالِين » فملَّ البلدةَ من جورِه بها ، ومطلعها :

وما لي إلى أهلِ « مالينَ » شوقٌ فانّها
منغَّصةٌ من جَورِ « حدادها » الكَلبِ [3]

ونَراه في هجائه يبحثُ في جَعبته غالباً عن صور تاريخية قديمة ، يقارن بها مهجوَّه . ونراه هنا يستخدم قصةَ « السامري » في قوله :

يناسبُ عجــلَ السامــريِّ بزُورِه
سوى أنَّ هذا من خَرى وهْوَمن ذَهَبْ

---

(١) عراني زكــام فابتلاني مكرهـــاً   بهجر « بديع » في ملاحتــه فرد
وذاك لشمي ورد خديــه دائمــاً   وقد يعتري داء الزكام من الورد

(٢) يــا صخر ما بــك هزة لندى   هيهات مــا بالصخر من هزه
ما ذاق خبزك في الــورى أحد   لله ، ثــم لخبــزك العـــزه

(٣) أنظر القصيدة في الديوان ، فهي من القصائد الجيدة في الهجاء ، التي تنبعث منها انفعالات الشاعر النفسية من مهجوه « الحداد » ! .

ولكن الفحش هو الذي يطفو على شِعره الهجائي، على الرغم من أنه صرّح أكثر من مرّة في كتابه « دمية القصر » أنه يعزِفُ عن الشعر الفاحش في دميته . والشعر الفاحش الذي تجمّع بين أيدينا كلّه في الهجاء الشخصي ، لأُناس كان يعرفهم رجالاً أو نساء ، ثم غضب عليهم فوصفهم بأقبحِ الصفات [1] .

وقد يتذمّر مِن منطقة فيهجوها ويذمّها ، ولا ينسى أهلها في أغلب الأحيان . وها هو يهجو منطقةَ «جُرجانَ» ، وينعتها وينعتُ أهلها بالبخل :

يا أهلَ جُرجانَ عفاءٌ على | أرضكُمُ الكالحةِ العابِسَة
فسُفرتي من خُبزكم قَفـرةٌ | وصُرّتي من خَيْركم آيِسَة
فالرِّجلُ من أوحالكم رَطبةٌ | واليَدُ عن أموالكم يابِسة

٦ ـ وصفُه وتصويره :

قليلاً ما نجد في شعره قصائدَ انفردت بوصف بِركة أو بحر أو حديقة أو جواد .. وهو إذا أتى بالوصف أتاهُ مقدّمةً لغرض آخر كأنْ يمدح ولكنه يصف الطبيعة قبله . وأهمّ ما نَراهُ من قصائد وصفيّة عنده هي في وصف المدن التي يحبّها أوْ لا يحبّها . ووصفُه ينبعث من نفسه عامة ، ثم من واقعه وبيئتِه . فإذا قابلَ بخيلاً أجاد في وصفه ، وفي تصويره تصويراً كاريكاتورياً :

قد قفل البابَ بقفلٍ لـهُ | من بُخله خوفاً على الأرغفَهْ

---

(١) كقوله في قاض :

وقاض لنا أيـر أيـد | ينيك الردي مع الجيد
فقلت : تقول بهم أم بهن ؟ | فقال : بهن يا سيدي

أو قوله في امرأة :

أعوذ بالله من سحاقة ملكت | زمام قلبي لا من فاسق وقبا
ملاك حرفتها كس وملحفة | وهكذا رأس مالي فيشة وقبا
طرقتها فأباحتني ذخيرتها | بعد الهدو ، ولم تمنع حمى الوقبى

وقال : إن أطعمتُ منها امرأ   لُبابةً إنّي كثيرُ السَّفَه
وطَوّل الشاربَ كي لا تُرى   إذا تغدّى، حركاتُ الشَّفَه

وقد يستخدم في أوصافه ما عونَ الحرب ، وإن لم يكن الموصوف بطلاً أو فارساً . فاذا وصف امرأةً شبهَ ألحاظها بالسيوف ، وقدَّها بالرماح ، وصُدغها بحلَق الدروع [(١)] .

ويطيب له وصفُ مجالس الانس بعد أن يزاحم نورُ الفجر دهمة الليل ، ولا ينسى سجع الاطيار الذي يبعث الصفاء في جلسة الانس [(٢)] . وقد يداهم الجُلاّسَ بردٌ شديد أو ثلج سَقيط ، فيعكفون على الخمرة [(٣)] . كما قد يداهم المؤمنين منهم فيتمنّون حرّاً الجحيم [(٤)] .

ويستخدم التصوير في كثير من الأغراض الشعرية كالمدح والهجاء والغزل . والصور التي يسجّلها لنا ويرسمُها في شعره ، أغلبُها صور من بنات فكره لا من صفحات الكتب . فما أجملَ تصويرَه لرحيله أو هجرتَه عن أهله وبلدتِه ! فقد خرج منها كما يُسل السيفُ من غمده :

وفارقتُ بَيْتِي كالمهنّد دالِقاً   من الغمد واستبدلتُ شعباً سوى شَعبي
فها أنا في بغدادَ أرعى رياضَها   وأرتع منها في الرفاهةِ والخصبِ

ويأتينا بلَوحة ضاحكةٍ إذا أراد أن يصوِّر لنا فقرَه المُدقعَ ، مُتلاعباً بلفظي (إبليس) و (إفْليس) :

---

(١) لم أدر من أي الثلاثة أشتكي   ولقد عددت فأصغ للأعداد :
من لحظها السياف، أم من قدها الر   رماح، أم من صدغها الزراد ؟

(٢) وليل دجوجي كأن صباحه   يهز لواء مائساً فوق عطفه
تنـزه سمعي منه في صوت طائر   شدا مشرئب الجيد ثاني عطفه
فأطعمت خلاني كباباً كعرفه   وعاطيت ندماني شراباً كظرفه

(٣) أنظر البائية (في يوم بارد) في الديوان .

(٤) كم مؤمن قرصته أظفار الشتا   فغدا لسكان الجحيم حسودا

إن كانَ إبليسُ لإبـــلاسـِهِ من رحمةِ اللهِ يُسمّى كــذا
فاسميَ إفليسُ لأنّي مـــن الـ إفلاس في خَطبٍ شديدِ الأذى

وتزداد صوره في المطالع الغزليّة . إذ يصف ساعاتِ الفراق والدمــوع المنهمرة [١] ، ولهيب الشوق المتّقد [٢] .

٧ ــ الرّثاء :

أوّلُ ما يرثي الشاعرُ الأقربين ، ويحتلّ والدا الشاعر صدرَ رثائه كمـا احتلَّ هذا الصدر آلام فقدانهما . إلا أنّ الدهر الخؤونَ الذي يقتنص الأعزّاء من الأعزاء اقتنص بعضاً من شعره . فلم يتبقَّ لدينا في والدَيْهِ إلا قطعتان صَغيرتان ؛ لم تَنمّا عن كبير عاطفة ، ولا عن تحرق على فَقدهما . وكنـا نتصوّره يقفُ على قبرِ أبيهِ يرثيه رثاءَ مفجعٍ ملّوع ، بعد أنّ قصّ علينا في مقدّمته أنّ أباه عاني بشأن تعليمه صغيراً . ولكننا نجد الأبيات خاليةً مـــن العاطفة ، مملوءةً بالصنعة التي تُميتُ روحَ الشعر المنبعث من القلب . فانظر إلى قوله في أبيهِ ، وهو يتلاعَبُ بلفظة (رونق) :

ها أنا ذا ثاوياً بمضيعـــــــــةٍ ووالدي في ضريحهِ ثـــــاوِ
قد كانَ للدهر رونقاً ، فمضى فكلّه رونقٌ بـــــلا واوِ

ولا تقلّ الصنعة في شعره في رثاء أمّه عن شعره في رثاء أبيه ، وإن كانت العاطفة أضعف . فنراه حين يخاطبها خطاب متكلّفِ القول . نراهُ يـرسلُ كلاماً يشبهُ الرثاء ! :

أوالدتي بعُدتِ عــلى التّداني فيا عجباً منَ الدّاني البعيــد !
وكان لنا دعاؤك في صعـــود فكيف انحطَّ من تحتِ الصّعيد؟

---

(١) أنظر البائية التي مطلعها : أليس من عجب أني ضحى ارتحلوا ... لهبا
(٢) أنظر البائية التي مطلعها : ورب نهار للفراق أصيله ... متناسب

ونبحث في ثنايا شعره عن رثاء أساتذته وصحبه ، فلا نعثر إلاّ على قطعتين ، رثى بهما قاضيين صديقين هما : نصرٌ الشاشي والقاضي الهرَوى [1] . ولعلّ النساخ لم يعجبوا بشعره في الرثاء فلم ينقلوا إلا هذا القدر ، أو أنه لكثرة تنقّله بين الامصار وَهَنتِ العاطفةُ عنده .

٨ ـ الشكوى والتشاؤم :

نقفُ أمام شعر الباخرزي حَيارى ! .. هذا الانسان الدَّؤوب على العمل ، الساعي فيه إلى غاية الكمال ، والذي قضى ثلثَ قرنٍ في جمع شعر لم يبلُغ أغلبُه الجودة ، نراه يشكو الدّهر والزمان ونُدرةَ الخِلاّنِ ، فهو لم يجدِ الصديق المخلص من بين هؤلاء الذين تعرف إليهم وعَرفهم ، ولم يرَ للوفاء بين ظهرانيهم مطرحا . وهي خصيصة أساسية من خصائص الأدب في العصر السلجوقي ، يقول :

وليس يَفيْ لي ، وأينَ الوفاءُ ؟ صديقٌ صدوقٌ من الناس طُرّ
وممّا يشقّ على الحرّ أنْ يقالَ لكلٍ من الناس : حُرّ

كما أنه لم يجد الوفاء في بيته ، فشكا من حياته ، وحثّنا على عدم إضاعة المال بالزواج . وقد أشرنا في مطلع حديثنا عن « المرأة والغلام » أنه ينصح بوأدِهِنّ ، والآن يقولُ لنا :

وأضْيعُ المالِ ما تلاشى بالمهر والمهد والرّضاعِ

فهو إذا مُني بقلّة التوفيق من قبل صحبه وأهله ، فحريٌّ به أن يتشاءَم من حياته لأنه رأى أنّ الدهر يقدّم لغيرِه الخيرَ ، ويتركه صفر اليدين :

وجرَّعني الرغاوةَ صرفُ دهرٍ يسوِّغُ غيري الصِّرفَ الصّريحا

---

(١) أنظر الهمزية في مطلع الديوان : قضى نحبه الشاشي نصر وحكمه .. بعطائه والضادية : قاض مضى لسبيله لما قضى .. . انقضى .

وعلى هذا فهو متضايق من الزواج ومن الأولاد ، وممّا يجرّ ان خلفهما من شقاء وأسى ، وباعتباره (أديباً وشاعراً) مشغولاً عن كلّ أنواع الحياة في سبيل بناء مجده ، فعليه أن يعكف على العزبة ويدعَ الأهل والتأهّل (١) .
ولا شكّ أنّ هذا التعليل تعليل رجل متشائم ، لم ترُق له أطايبُ الحياة . ولهذا فانّ الحياةَ في نظره وردة ذابلة لاعبيرَ لها ولا رونق . حتى الربيع الذي يُقبل الناسُ عليه، وتُشرق أساريرهم ببشائره ما عاد حلواً ما دام الدهر يخالفُه ، ويقدم له الحنظل ، ومن حقّه أن يطعم العسل (٢) .

وقد كشف شعرُه سببَ تشاؤمه هذا ، وسبب ضيق نفسه ؛ فقد كان الحسادُ يتضايقون من عمله وشُهرته ونتاجه ، فراحوا يوغِرون الصدور ، ويكثرون الحديث فيه حتى صرخ بأعلى صوته :

فليكثرِ الحسّادُ فيَّ مقالتهم ... شَروى الكلابِ تَناوحتْ بِهَريرِ

ولكنّ حسدهم يزداد ، وأقاويلَهم تَسري سَرَيَان الزَّيت في الحرير الطبيعي . ويظل الباخرزي على منهجه لا يأْبَهُ لهم ولا يُبالي بهم ، لأنه يعلم أن الحسدَ لا يولد من غيرِ شيء ، وأن « العودَ لولا طيبُه لم يُحرق » . ولعلّ

---

(١) يشقى المعيل بقلب ضيق كـدا ... فلا أرى أن يسمي صدره بلدا
ما قرطت أذن زنبيل بنان يدي ... لو كنت أملك للدهر الظلوم يدا
وكنت أحسد من لم يتخـذ ولداً ... لولا قضاء الذي لم يتخذ ولدا
إن كنت أهل بناء المجد فاجتنب الـ ... ـبناء بالأهل وابغ المجد متحدا
فتلك بالشر كالرمان مكتنزاً — ... دعها ، وإن كان كالرمان ما نهدا
وان أتوك وقالوا : ثغرها برد ... فاحزم فكم برد قد أحرق البلدا
فالظهر منـك بحمل موقر أبداً ... والبطن منها بحمل مثقل أبدا

(٢) يمـر علي زمـان الربيـع ... ولا العيش حلو ولا الكأس مر
فأفلاكـه بعنـادي تدور ... وأخلافـه بخلافي تـدر
أجـرع مـن شربه ما يسوء ... وأحرم من أريـه مـا يسر
وأشرب من مقلـتي مـا يضير ... وآكل من كبـدي ما يضـر

قطعته التالية تُبيِّن الواقع المرير ، الذي عاشه بين هذا الخصم ٌ من الحسّاد :

أشكو إلى اللهِ أني في سَواسيـــــةٍ ترددّوا بينَ غَمّـــازٍ وهَمّازِ
إذا تَعاوَوا حشوتُ الأذنَ دونَهُـم باصبعي ، ولويتُ الشدقَ كالهازي
ولا أُبالي بإذلالٍ خُصصتُ بـــهِ منهم ، وفيهم ، وإن خُصّوابإعزاز
رِجلُ الدّجاجةِ لا من عزّهاغُسلت ولا من الذلّ خيطت مقلةُ البـــاز

حتّى الافلاك والنجوم لم تنجُ من تشاؤمه ، فتراه كثيراً ما يخاطبها ، معتقداً بما تفعل الأَبراج بالمستقبل :

تجاوزتَ حدّ الظلم يا زحلُ الــذي أبَيْتُكَ جاراً لي وحقّاً أبيتُكا
وهبْك شأمتَ الجدْيَ إذكانَ طائعي فخُذ حذراً من هدمِه فهو بيتُكا

ويعتبر النجمُ « كيوان » (وهو زحل) نحساً له ، ولم لا ؟ وهو الذي أغارَ على بُرجه « برج الجدي » والتهَمه ! [1] .

٩ ـ الحكمة :

ومن كان الحسادُ سببَ سوءِ حياته ، وسببَ تشاؤمه في الحياة ، ومن كان كثيرَ التجارب والتجوال فإنّ آراءه وحكِمه ستنبعثُ من هذا المُنطَلَق . ولذا فاننا نرى حكمتَه منصبغةً بشيءٍ من السوداويّة ، وكثير من السلبيّة في الامـــور . وقد ورد مثلُ هذا في أثناء حديثنا عن « الشكوى والتشاؤم » ، فلا حاجةَ إلى التكرار .

وأول ما يسترعي انتباهَنا ، نصيحته بالزواج بسيدة غريبة لا تمتُّ الى المرء

(١) يا نحس يا كيوان فعلـــك كلــه سمج لدي فما لـــك استملحته ؟
والجدي بيتك وهو أيضا طالعي أفسدتـــه وحرى لـــو استصلحته
وي للجـــدي ذبحتـــه وسلختـــه وشويتـــه وأكلتـــه وسلحته

بصلة نسب ، وذلك حرصاً على الأنجاب الحسن ؛ وهي فكرة صحيحة أثبتتها العلوم الحديثة :

إن طلبتَ الانجابَ فانكح غريبـاً — وإلى الأقـربين لا تتـوسَّلْ
فأشفُّ الثمـار طيبـاً وحسناً — ثمرٌ غصنُه غريبٌ موصَّـلْ

ويتألـّم أشدَّ الالم إذ يرى الاصيلَ ذليلاً ، ولئيمَ المَحْتِدِ مُستعلياً مستحكما ، ويشبههما تشبيهاً جميلاً إذ يقول إن البزاةَ – وهي من الطيور العزيزة – حاسرة وإن الهدهد – وهو من الطيور الرذلة – يتحلّى بالتاج [1] ، ولعلّه يميل إلى قول المتنبّي :

ذو العقل يَشقى في النعيم بعقلـه — وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ يَنعم

ونراه يستخدم الهدهدَ كثيراً في شعره ، وفي حِكمه خاصة ؛ يتّخذُه ذريعةً للحديث عن الرذل الذي يكتسي الألبسةَ القشيبة تماماً كالهدهد ذي التاج [2] .

غير أنّ أصالة النسب يتبعها بالتالي حسنُ الخلق ، إذ أنّ الانسانَ الشّرس الأخلاق يخملُ ذكرُه ، ويُنعتُ بأتفهِ الأوصاف ، فـ :

كم مِن فتىً نابهِ الأخطارِ ألحقَهُ — بأخملِ الناس ذكراً خُلْقُهُ الشّرسُ
أما تَرى البَغْلَ ، سوءُ الخلقِ ينسبهُ — إلى الحمير ، ومن أخوالِهِ الفَرَسُ ؟

١٠ – الشّيب :

والشيب من الموضوعات التي كثر الحديث عنها شعراً . ونكاد لا نجد شاعراً

---

(١) لا تنكري يـا عز إن ذل الفتى — ذو الأصل ، واستعل لئيم المحتد
إن البزاة رؤوسهـن عواطـل — والتاج معقود برأس الهدهـد

(٢) أنظر الديوان في جيميته :

لا يشرف الرذل بأن يكتسي .... وديباجا

في العصر العباسي – وحتى ما قبل العباسي – إلا وله جولاتٌ وجولاتٌ في الشيب . وقد استخدموه في العديد من الأغراض ، كالغزل والحكمة والمديح ، كما استخدموه غرضاً خاصاً بذاته .

وقد تألّم الباخرزي إذ رأى شَعر عذاره الأسود ينصبغ بالبياض ، بل إن البياض يسري في السواد سَرَيان اللهيب في طرف الذُبال [1] .

ويزداد الأمر سوءاً – في نظره – إذ يحمل عصاً بعد أن وخطه الشيبُ . لانَّ العصا تقودُ الانسانَ إلى النهاية :

حمـل العَصـا للمُبتلى بـالشيب عنـوانُ البِلى
وُصفَ المسـافرُ أنّـه ألقى العصا كي يَنزلا
فعَلى القياس سبيلُ مَـن حملَ العَصا أن يَـرحلا

فالشيبُ عنده ، كما هو عند غيره ، ناقوسُ الخطر الذي يدقّ إيذاناً ببدء نهاية الانسان .

١١ – الحنين إلى الوطن :

وبحكم سفره المتواصلِ نراهُ يحنُّ إلى وطنه الذي ترعرع فيه ، ويشتاقُ إلى أهله الذين تركهم ورحل ، وخاصة إذا صادف ما يذكّره بموطنه كالثلج . وكذلك إذا حلّ في بلدٍ لا يرى فيه استقرارَه ، أو توطّن بين قوم لم يجد الأنس حولهم . ويذكّرنا الباخرزي في حنينه بشعراء الفتوح الذين رحلوا عن الجزيرة العربية مع الجيوش ، وأرسلوا أشعارهم حنيناً الى الأوطان . ومن أجمل ما قالَه في الحنين :

---

(١) ذوى الشعر البنفسج في عذاري وزاحمه ثغام الاكتهال
وكـد تفاوت الخطـين قلـبي وخاط عـلي أثـواب الخبـال
فخيط دب بـده الشيـب فيه دبيب النـار في طرف الذبال

قُربُ السّقام وبعدُ الاهلِ والوطنِ هـُما هـُما ، أورثاني السقمَ في بَدَني
حنّت هوىً لجبالِ الثلجِ راحلتي وما لها ببراق الشيحِ من عَطَنِ
ما لي أذيع فنون الوجد مشتكياً إذا اشتكت شجوّها الورقاءُ في فَنَنِ؟
بقيتُ بالبصرة الرعناء ممترياً دمعاً غسلتُ به عن مقلتي وسَني
طَوراً تَراني فيها ذاوياً زَهري من النُّحول ، وطوراً ذابلاً غُصُني

• • •

نظرة عامّة في شعره

لاحظنا من كلّ ما تقدمّ أنّ الباخرزي لم يدع باباً في الشعر إلاّ طرقه ، تقليدياً كان هذا الباب أم غيرَ تقليدي . وقد لمسنا شخصيةَ الشاعر بارزةً في أغلب أغراضه ، وخاصة في المديح ، حينما يمدح نظام الملك ، وفي الشكوى من الزمان الذي ضيّق عليه السبل ، وجعله ينظر إلى الحياة نظرةً موشّحة بغشاوة تُبعده عن مَسرّات الدنيا . ومع أنه كان يعقد مجالس الأنس إلاّ أنه لم يُفسح لشاعريته العنان في وصف هذه المجالس ، مكتفياً من هذه المجالس بالغُلام أو الشراب .

وعلى الرغم من أنّ ما في حَوزتنا من شعره يَدنو من الألف بيت إلا أننا نجدُ قلمَنا يتعثّر في الكتابة عنه بشكل جامع ، ذلك أنّ النقاط التي يدور عليها في شعره متكررة ، وأنّ مديحه لنظام الملك أخذ حيِّزاً كبيراً ، وأنّ الأفكار التي يَدور عليها شعره ضَحلة المادة لا روعةَ فيها ولا جدّة ، يكاد ثوب الصنعة يُغطّي كلّ بيت . ويكفي أن يطالع القارىء بعضَ شعره ليرى ما رأيناه . ولم يكن في شعره مخالفاً لشعرِ عصره الذي جمعه ، من حيث الميلُ إلى الصنعة ، والخوضُ في موضوعات عادية ومبتذلة ، والواقع الذي لا مريةَ فيه أنه لم يكن من شعراء الطبقة الاولى ، ولا

الثالثة ، بل كان أديباً مؤرخاً ، ناثراً جيد الصنعة في النثر ، واسع الثقافة ، قارئاً مطالعاً ، وله شعر – ككلّ الادباء الذين لهم تجارب شعرية .

وأهمّ ما يُوقفنا في شعره ذلك الثوب الموشّى الذي ألبسَه غالبَ شعره . فهو حريص على إبراز مقدرته في صنعته ، ولن ننسى طبعاً أنها ميزةُ العصر وداؤه . وإذا كشفناها في شعر الدمية ، ورأيناه يتوقّف عندها معجباً ، فأحرِ به أن يستخدمها في شعره . وقد صبغ سائر أغراضه الشعرية بهذه الصنعة حتّى في رثاء أبيه ، وهو الذي يعتبر من أقلّ الأغراض مساساً بالصنعة .

ومن أكثر ما يلمع في شعره من صنعته ، ردُّ الاعجاز على الصدور ، والتلاعبُ بالجناس كقوله :

كِليني لهمٌّ يَمتري الدمعَ ناكب | فعهدك يا أسماءُ نسجُ عناكِب
عناني بكِ الوجد المبرِّحُ في النوَّى | فيا ليتَ شِعري أيُّ وجدٍ عناكِبي[1] ؟

والتلاعبُ بالأسماء شغلُه الشاغل ، فاذا كان الاسم عربيّاً استغلّه بالفارسية ، وإن كان فارسياً استغلّ معناهُ بالعربية كقوله في شخص اسمُه «سَكْبَز»[2] :

«سَكْبزُنــا» لايزالُ مفتخراً | بأصله ، وهو ليسَ بالفاخِرْ
مقلوبُ نصفِ اسمه لزوجتِــهِ | يحبُّ مقلوبَ نصفِه الآخِــرْ

وهو مغرم كذلك – كأهل عصره – بالتلاعب بأسماء علم الآلةِ ، فكثيراً ما يستخدم هذه المواد ضمن شعره غزلاً أو مدحاً أو هجاء . وقد قال الباخرزي متغزلاً ، ومستخدماً الصرف بقولـه :

---

(١) وكقوله في هجاء شخص اسمه « نصر » ، وهو قاض ينسب إلى بلدة « فسا » :

أشاع فساده الفـوى نصــــر | وفـــاق جميــع أهــل فسا فسادا
فسا هجوي عليه فساد ، إخس | بمن هجو عليه فسا فســادا

(٢) يرجح أن يكون الاسم « سك باز » أي ملاعب الكلاب . ولكنه يتلاعب باللفظ العربي للاسم

ولفَّ القربُ بيتَيْنـــا جميعـــاً   فنحنُ الآنَ من بابِ اللفيفِ [١]

أما لزوم ما لا يلزمُ فالشواهد عليه كثيرةٌ لرغبتهِ في إبرازِ مقدرتِـــهِ اللُّغويّة [٢] .

ومن باب الصنعة كذلك اقتباسُه من القرآن الكريم والحديث الشريف ، أو تضمينه الشعر العربي والامثال . ولا يمكننا أن نعدَّ فعلَه سرقةً أدبية لانه أخذ من أشهرِ أصول الادب ، كما أخذ من القرآن ، إلاّ أنه استخفَّ بما أخذ واستخدمه استخداماً سيئاً ، وما هدفُه إلاّ إظهار براعته وثقافته ، وإن كان في فاحش القول :

أعوذُ بـــالله من سَحّاقـــةٍ ملكت   زمامَ قلبي لا مِن غاسق وقَبَا [٣]

ويستغلّ حديثَ عيد الفطر استغلالاً جيداً في باب الغزل ، فيقول لمحبوبته :

زكاةُ رؤوسِ الناس في عيد فطرهم   ، يقول رسول الله : « صاعٌ من البُر »
ورأسك أغلى قيمةً فتصدَّقـــي   بفيكِ علَينا فهو صاعٌ من الدُّرِّ

ومثل ذلك تضمينه للأمثال ، فقد يضمّن المثلَ كاملاً أو مجزوءاً إذا كان المثلُ مشهورا . وقد يصوغ المثل صياغةً شعرية بعد أن يتفهّم فحواه [٤] . ومن الأمثال التي مرّت في شعرِه : «نارٌ ولا عار» ، و « عِش رجباً ترَ عجبا »

---

(١) ولا بأس من أن تقرأ هذين البيتين لما فيهما من تعمق في مادة الصرف ، وانغماسه في غرض الشعر :

كوى جوف قلبي لف صدغ مشابه   علامـــة مهموز بحني ظهـــره
وضـــاعف أشجـــاني بسالم جسمـــه   ومعتـــل عينيـــه ونـــاقص خصره

(٢) أنظر البائية (وقبا) مثالا على ذلك .

(٣) من الآية : « ومن شر غاسق إذا وقب » (١١٣/٣) . ومثل ذلك قوله وقد اقتبسه من سورة يوسف : كأن ما انعق عنه من معصفره   قميص يوسف غشوه دماً كذباً

(٤) كصياغته للمثل : « أحشفا وسوء كيلة ؟ » بقوله :

ولي حشف وبي تطفيف كيـــل   وها حشفي مع الكيل الطفيف

و « أحَشَفاً وسوءَ كَيلة ؟ » . وقد ضمّن في شعره شعر عدد من كبار الشعراء المشهورين في الجاهلية والاسلام كامرىء القيس وتأبط شراً ولبيد وجرير والبحتري وغيرهم . فقد أخذ قول لبيد [1] :

ذهب الذينَ يُعاش في أكنافهم ... وبقيتُ في خلْفٍ كجلد الأجربِ
يتأكّلون مُغــالةً وخيانةً ... ويُعاب قائلهم ، وإن لم يَشْغَبِ

وضمّنه بقوله :

تعــال نندبْ مــع ورقِ الغضــا ... على عهودٍ كربتْ أنْ تَبيــدْ
وقلّص الذيــلَ وشمّرهُ عـــن ... خلْفٍ من الخلقِ حكاهُم لَبيدْ [2]

الناظر الى ديوان الباخرزي يرى أنّ نفسَه الشعري طويل ، فهناك قصائد تفوقُ الاربعين بيتاً بل الخمسينَ ، مع أنها عبارة عن مقتطفات من قصيدة . فقد مدح القائمَ بقصيدة طويلة عثرنا منها على ٤٣ بيتاً ، وهناك لاميّةٌ طولها ٥٧ بيتاً . والذي لاحظناه أن القصائد الطويلة هي قصائد المديح ذات المطالع الغزليّة ، كالتي قالها في وليّ نعمته نظام الملك .

هذه ملاحظات عامة على شعر الباخرزي وشاعريته ، وهي ، وإن كانت تتجه نحو الاسلوب أكثر ، تشرح أهمّ ما امتاز به هذا الشاعر ، لانّ العصر الذي عاشه هو عصر صنعة وعناية لفظية ، وما الأغراض الاّ تقليد لما قالَه الأقدمون .

وسنقرأ في الصفحات المقبلة ديوانَه الذي حصلنا عليه ليكون بين الايدي ، وقد رتّبناه على حروف المعجم ليسهل الرجوع إليه .

---

(١) الديوان : ١٥٣

(٢) وهو كذلك مقتبس من الآية : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب » (١٦٧/٧) .

يا حبذا القصر وافت في محاسنها • تميس في حلل الاعجاز مبتدره •
مستقبل البهجة تهادى في جوانبها • تقبل الحلي والارداف منبهره •
الى رضى امير المؤمنين وكم • به الممالك والايام مفتخره •
الصاحب ابن الميمون غرته • نجم الملوك ونجل السادة البرره •
ابي علي نظام الملك من بهرت • اخلاقه الزهر في لألائها الزهره •
طابت حضرة جئت اغرو وطر • مرحبا فضله الاقضى وطره • •
ممن اجرى ذكره توقيعاته نفذت • في الشرق والغرب امضاه فرع كوره •
ما طنى لهم واستعصت بالمليم • قاد الجيوش وزاد الالب العفره •
ما ثار آراؤه في الروم بادية • فادخل بلادهم ثم انظر اثره • •
ذو بوب ايامنا لما سمحن به • وان اصرت عليها فهي مغتفره • •
مواقف جابها المجلس العالي لكرم • له بدائع في الآفاق مشتهره • •
طرفت كتب اهل العصر قاطبة • واشعر الناس لم اعدو من الفجره • •
فكم له فقرة في الناس سائرة • ولكنه غريب في الكتب مستطره •
والحفظ مثل ابتسام الروض عن زهر • واللفظ يحكي جمان النحر والدرر •
ازرى المعاني في قلائده • تحيرت عند معاني سحر السحره •
فقل لقوم رووا عن غيره غررا • شتى وقاسوا بها من جهلهم غرره •
الشعر ما قد ربت عنكم عقولكم • هل تستوي الدرة البيضاء والبعره •
لو جئت من شط جيحون الى هجر • فطفت من بعدها بغداد والبصره •
لم تلق مثل علي في فضائله • مقالة من علي فيه مختصره •
لا زال في العز محروسا مراتبه • عليه مغتبطا ما اورقت شجره •
خصها نقيبه طمع ان جئت بها • اجابه في الوقت مثل الحين منتظره •

ابو الحسن

ابو الحسن علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب الباخرزي الشاعر المشهور كان اوحد عصره في فضله وذهنه والسابق الى حيازة القصب في نظمه ونثره كان في شبابه مشتغلا بالفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ثم شرع في فن الكتابة واختلف الى ديوان الرسائل وارتفعت به الاحوال وانخفضت ورأى من الدهر العجائب سفرا وحضرا وغلب ادبه على فقهه فاشتهر بالادب وعمل الشعر وسمع الحديث فمن معانيه الغريبة قوله [illegible]

وانى لاشكو لسع اصداغك التي • عقاربها في وجنتيك تحوم •
وابكي لدر الثغر منك ولي اب • فكيف يديم الضحك وهو يتيم •

ومن بدائعه وروائعه قوله •

اقوت معاهدهم بشط الوادي • فبقيت مقتولا وشط الوادي •
وسكرت من خمر الفراق ورقصت • عيني الدموع على غنا الحادي •
فصابني جد وصوب مدامعي • جود وصفرة لون وجهي جاده •
اسعى لاسعد بالوصال وحق لي • ان السعادة في وصال سعاد •
قالت وقد فتشت عنها كل من • لاقيته من حاضر او باد •
انا في فؤادك فارم لحظك نحوه • ترني فقلت لها فاين فؤادي •
لم ادر من اي الثلاثة اشتكي • ولقد عددت فاصغ للاعداد •
من لحظها السياف ام من قدها • الرماح ام من صدغها الزراد •
وكم تمنيت الفراق مغالطا • واحتلت في استثمار غرس ودادي •
وطمعت منها في الوصال لانها • تبني الامور على خلاف مرادي •
هي من بكت وليس من بعدها • الا مسيلة الحكام الشادي •
تبكي فاسعده وصدق حاكي • بسحاب تحملني على الاسعاد •

وسلّي بالسلامة صوّاحا • وغصّي في النعيم بلا زوال
وعصري غصن زليخا التثني • وخطي ورد ناضرة الجمال
ورشق حيث يبتسم الاقاحي • ومشي حيث تنعجن الغوالي
وتركي الزهر يمرح شمولا • ورفضي النسك في ريح شمال
وصحي شرب ياقوت مذاب • يرض المزج فيه حصى اللآلي
وصوني العطف خفّ عن مشي • ورين الايك مجلو الظلال
فيا انا من لبيب العوا يشجي • اذا عجمت خواطر صاباني
واجتلب النشيد وابي صبرة • واحتلب الشؤون وكيف حالي
وتتذري حجتي واستعذ لديه • وتذري مقلتي وسل الليالي
تحدي الزعفران والمساكا • وومعي الارجوان ولا ابالي
احكي الورد والوجهين يحزى • معاني الصبغتين على مثال
وكيف يسوء لي ما فات مني • ورد الغانيات من المحال
وما الغلسين سوى التمني • وما الثنا بين سوى الخيال
ذوي الشعر البنفسج عذاري • وزاحم ثغام الاكتهال
وكم تغاورت الخطين قلبي • وخالط على اثواب الخيال
فخط رب بدو الشيب فيه • وجيب النار في طرف الذبال
واحرقا م كالفجمان • على جاز بحر النار صال
يحاذران يصاب بفرع • لجار النار عدوى الاشتعال
فذي ظلم الشباب على صداها • ضياء الشيب حوث بالصقال
ترى تلك العجوز نعوذ بها • وحال الوصل يلفح عن حبال
وبقى البين عادته وتجو • من الافتاب اسنة لجمال

نعم

فتو بالورى تكف المغانيه • وترجع بالحمى تكف الليالي
رخيم الدل محكم التشاهه • طويل النزل مرار النصال
برقق طبعي الملبوس عنه • ويستحذ عزمه بعد الكلام
فينشط الاختراع الشعر عني • ويشغلني البيان عن السفال
واطلب في ثنا ابي عليه • نظام الكون نظام المعالي
فتى كالغيث مشبوب الاماني • فتى كالعزم محذور الصيال
وتنحو كفه والبحر فيها • بمن شام السحايب الثقال
وبيلي كعبه عرض مصون • معول على مال مذال
اعار عواطل الادب عنا • تراعيها فهن به حوالي
وعطر شعره صبغيها بمسك • ونقط ورد خديها بخال
وبوء وفدها كنفا رحيبا • مرور العشب مورده الزلال
حراما مثل بيت اله يشدو • بسحر في مناقبه حلال
يسف به تواضعه فتدنو • مقاطعه على بعد المنال
ويظهر نطقه اعجاز عيسى • برد الروح في الرمم البوالي
واصداف الصواب معربات • باقلامه مثل النبال
يخو قبها فلا تخطي وتمضي • مضا الغضبة في العوالي
بخط اغمدي الوين يشفي • عيون الرمد عنه الاكتحال
فمن ذا لي نصاغ على اعتدال • ومن ذا لي نصان عن ابتذال
وليس تخشى العين عيبا • سوى المحذور من عين الكمال
تساق الى النبي به صلوة • وتعرف فيه قدرة ذي الجلال
وثبت ركبه في كل خطب • تزلزل منه اركان الجبال

كم هو اسلس بولها • على معانيكم النائبه •
فارجل من اوحالكم رجله • واليد عن امواهكم يابسه •

وله

وكأنه فرعون الآنه • من جانب الوجعا ذو الاوتاد •

وله

فتى ما به سقم وتعوه صفرة • فشانك في النحوي ودعني من الشرح

وقال

يا حاصد هاب شعره • فكر قلبي وآلم
علي نحت القوافي • وما على ازالم

آخر الملتقط من ديوان ابي الحسن علي بن الحسن الباخرزي
والحمد لله وحده وهو حسبي وكفى

ديوان
الباخرزي

حرف الهمزة

قال في الشكوى :

أفٍّ مـــن دهــرٍ رآني   في غمــارِ الفُضَلاءِ

(مجزوء الرمل)

فــرَمــاني ببـــلاءٍ   وغَـــلاءٍ وجــلاءِ

هل رأيتُم نسق الحـا   لِ عــلى هذا الوَلاءِ ؟

قال أيضاً (في الهجاء) :

قضى نَحبَهُ الشاشيُّ نصرٌ وحكمُه   وحاجةُ طُلاّبِ الغِنى بعَطائهَ

(طويل)

فهـا هُوَ قاضٍ ذو ثلاثـةِ أوجُهٍ   ولم يكُ ذا الوَجهينِ يومَ قَضَائهِ

حرف الباء

(قال في مديح نظام الملك) :

تُزَمُّ غَــداً للظــاعنينَ الرَّكــائبُ
فتُحدى وتَخدي بالنِّجاءِ النَّجائبُ[1]

(طويل)

ويُوحشُ مَغْنى الحَيِّ غِبَّ ارتحالِهِم
كما أوحشتْ بعدَ العقودِ التَّرائبُ

وتَبقى الأثافي كــالحمائــمِ رُكَّداً
نأتْ دونَها الأوكارُ فهْيَ غَرائبُ

أو الكبدُ الحَرَّى يقطَّعُ جُرمَهَــــا
ثلاثــةَ أجزاءٍ جَــوىً مُتراكــبُ

ستعطفُ قوس النوى فِــدًى مِثلها
وللوجدِ في قَلْــبي سِهــامٌ صَوائبُ

---

(١) يخدي البعير : يسرع ويزج بقوائمه . النجاء : ج نجوة ، وهي ما ارتفع من الأرض .

وتكتمُ أطلالَ الدِّيارِ مِـــنَ النّوى
نوائبُ تُفْشي سِرَّهُنَّ النواعبُ

وتَبكي على ما فاتَ من بردِ ظلِّها
شَوادٍ سَخيناتُ العيونِ نَوادبُ

كما ادَّرعتْ زِيَّ الحــداد ثواكــلٌ
تلوَّتْ على أعناقهِنَّ الذَّوائبُ

وربَّ نَهــارٍ للفــراقِ أصيلُــه
ووَجْهــي ، كلا لونيهِما متناسبُ

فدَمعي وشَخصي والمَطيُّ مُقطَّــرٌ
وقَلبي وقُرصُ الشّمسِ والهَمُّ واجب

ظلِلتُ بــه أُحصي كواكبَ أدمُعي
وفي مثلِ ذاكَ اليومِ تُحصى الكواكبُ

فمَن عاذِري مِن غــائبٍ وخيالُه
إذا خاطَ جفني النومُ أو غابَ آيبُ

تدرَّعَ سربــالَ الدُّجى وكأنّما
على وَجنتيه رونــقُ الصُّبحِ ذائبٌ

ولم يــكُ يرعــاهُ سوى أخواتِــه
عنيتُ دَراري النُّجومِ مُراقب

فما زلتُ منهُ واصلاً وهْوَ هــاجرٌ
وغازلتُ منهُ حــاضراً وهــو غائبُ

لهُ اللهُ من طيفٍ يــزورُ وبينَـــهُ
وبَيني رمــالٌ جمّةٌ وسَباسِب (١)

(١) السباسب : ج سبسب وهي المفازة أو الأرض المستوية البعيدة .

فلِلكُــدْرِ في أطرافهِـــنَّ مشاربٌ
وللعُفْرِ في أكنافهِـــنَّ مَسارب [1]

هو البدرُ تَهديــهِ الكواكبُ نَحونا
كما البدرُ تَهدينا إليهِ الغَياهِــبُ

يُنزِّهُني في رَقدتــي وهــو وافِدٌ
ويوحِشُني في يَقظَتي وهْوَ ذاهِبُ

فإن سُدَّ منه مِنخَرٌ جــاشَ منخرٌ
وإن سرَّ منهُ جانبٌ ساءَ جانب

كما غرَّ بالنــارِ الكــذوبِ وميضُها
عيونَ البَرايا خُلّبٌ أو حُباحِــبُ

كذلكَ دأبُ الدَّهرِ لم يصفُ مــوردٌ
منَ العيشِ إلاّ كدَّرتَــهُ شوائب

قضى جائراً حتى اشرأبّــت مناسمٌ
إلى حيثُ شاءَتْ واطمأنّتْ غَوارِبُ

وصادَ العقابَ الصَّعْوُ فاقتاتَ شلْوَهُ [2]
وصالَ على أسدِ العَرينِ الثّعالــب

فغالِبْ بما سيّرْتَهُ فيكَ كــلَّ مَنْ
تَـ اه وأيقنْ أنَّ جنــدكَ غالِــبُ

---

(١) الكدر : ضرب من القطا غبر الألوان رقش الظهور صفر الحلوق . العفر : نوع من الظباء . الأكناف : ج كنف وهو الجانب . المسارب : ج مسرب وهو المذهب ، يقال : للوحش والنعم أمكنة مسارب ومسارح أي أمكنة تذهب فيها وتسرح .

(٢) الصعو : عصفور صغير . الشلو : العضو من أعضاء اللحم .

وعندكَ ممّـا أنشأتْـهُ خَواطِري
غرائـبُ فيهـا للـرواةِ رَغـائب
فطوراً بها في السّلم تُجلى عرائسٌ
وطوراً بها في الحربِ تُزجى كتائب
وإنّ امرأ عطشانَ وافـاكَ شائمـاً
حيّاكَ لَمَدلـولٌ على المـاءِ قارب

وقال (في هجاء الحدّاد) :

أ بالري أثوي أم أسيرُ معَ الركبِ ؟
أسيرُ لأنّ السيرَ أدنـى إلى قلـبي

(طويل)

إذا كانَ من عَزمي التقدُّم في العُلا
فليسَ من الحَزمِ التخلّفُ عن صحبي
أدورُ على جَنبي مخـافةَ أنّـني
أرى الجارَ جارَ السوءِ لزقاً إلى جَنبي
ولستُ لأرضِ الهُونِ حِلساً [1] وإنأرُم
سماءً منَ الجـاهِ الرفيعِ فأجدر بي
وما أنا مُغرى بالكواعِبِ [2] مغرماً
ولا غزلاً أستَنُّ من مرحِ الحُـبِّ

---

(١) الهون : الخزي . الحلس : كساء ينبسط في البيت تحت حر الثياب .
(٢) في را : الكواكب .

أتشغلُني خَودٌ تكعّبَ ثديُهـــا
عن الذُّروةِ الشمّـاءِ أعلي بها كعبي ؟
سلامٌ على وكري وإن طُويَ الحَشا
على حَسراتٍ من فراخٍ بهـــا زُغْبِ
ووالهــةٍ عَبرى إذا اشتكتِ النوى
(سقى من جَناها الوردَ) [1] باللؤلؤ الرطب
أأذكرُ أيام الحمى ؟ لا ، وحقّهـــا
بلى أتناسى ، إنّ ذكر الحمى يصـــبي
ألم تَرني وثَرت بالشوق عزمـــةٌ
رمتنيَ كالسهمِ المَريشِ إلى الغرب
وطيّرت نفسي فهي أسرى من َ القَطا
وعهدي بها من قبلُ أرسى من القُطب
وجبتُ طريقـــاً ذا خطـــوبٍ طوارقٍ
فمِن حَرَجٍ ضَنْكٍ ومن ضَرِسٍ صَعْب
ودستُ جبالاً كدْنَ يعطبْنَ مُهجتي
بما ندفت فيها الثلوج من العطْـــب
وفارقتُ بيتي كـــالمهنّدِ دالقـــاً
من الغمدِ ، واستبدلتُ شعباً سوى شَعبي
فَها أنا في بغدادَ أرعـــى رِياضَهـــا
وأرتعُ منها في الرّفـــاهةِ والخِصبِ

---

(١) كذا في را . وفي الديوان : سقى نرجسها الورد

وأسحبُ أذيالي علَيها ، وكرخُها
مظِنّةُ إطرابي ، ودَجلتُها شربي
وأسبأ من حاناتِها عِكبريّةً (١)
أرقَّ من الإعتاب في عُقَبِ العَتْبِ
فلو صُبَّ في الأجبال حُمْرُ كؤوسِها
لمعْن (٢) الصخورُ السودُ خضراً من العُشب
يطوف بها ساقٍ يسيغُك شربَها
بنُقْلٍ شَهِيٍّ منمُقبّلِهِ العَذْبِ
وما لي إلى « ما لينَ » شوقٌ فإنّها
مُنغَّصة من جَوْرِ « حدّادِها » الكَلْب
هوَ القَين (٣) ما ينفكّ في الكير نافخاً
ممالاً بلفظِ العُجم لا لغةِ العُرب (٤)
ولم يسرِ في طُرْق المكارم مُذْ نَشا
وما زالَ معروفاً سُرى القَين بالكِذْبِ
أحبُّ له الخلخالَ لكنْ مُقيَّداً
ورِفعتَهُ أختارُ ، لكن من الصّلْبِ
لئيمٌ ويُعْدي لؤمُه جلساءَهُ
ولا غَروَ لو تعدّى الصِحاحُ من الجُرب

(١) سبأ الخمرة : شراها ليشربها . العكبرية : الخمرة المنسوبة إلى بلدة عكبرة .
(٢) لعلها : لعدن .
(٣) القين : الحداد .
(٤) أي (گير) ، ويعني بالفارسية قضيب الذكر .

ويُبدعُ في بــابِ الضِّيافةِ مَذهبــاً
فرغْفانَهُ يُعطــي وأثمــانَها يجْبي

ويَخطبُ أشعاري ، أمِن حِزبهِ أنا
فأنكِحَها إيّاهُ ، أم هوَ من حِزبي ؟

وأنّى له مَدحي ، ولي في هجــائهِ
أوابدُ تُروى في القَراطيسِ والكُتْبِ

وخَوفني فــارتَحت جذلانَ آمِنــاً
وبِتُّ رخيَّ البــالِ مُلتئــمَ الشَّعبِ

ولو خاف تَهديدَ الفــرزدقِ مِربَــعٌ
لخفتُ ، ولكن لايُرى الخوفُ من دَأبي

وكيف ، وعُصفوري يرى الصقرَ طعمةً
وشاتي تَغذو سخلها [1] بــدمِ الذِّئبِ

ولو شاءَ مولانــا الوزيرُ لكفَّــني
وأبلعَني رِيقي ونفّسَ من كربــي

فإنّكَ مَزْرورُ القميصِ عــلى العُلا
وطينُكَ معجون من المَجد لا التُّربِ

وقال (في مَديح القائم بأمر الله) :

عِشنا إلى أنْ رأَينا في الهــوى عَجَبا
كلَّ الشهورِ . وفي الأمثال : عِشْ رَجَبا

(بسيط)

---

(١) سخلها : ولدها .

أليسَ من عَجبٍ أني ضحى ارْتَحلوا
أوقدتُ من ماءِ دَمعي في الحَشا لَهَبا[1]

وأنَّ أجفانَ عَيْني أمطَرَتْ وَرِقاً
وأنَّ ساحةَ خَدِّي أنبتَتْ ذَهَبَا ؟

وإنْ [2] تلهَّبَ بَرقٌ من جَوانبِهمْ
توقَّدَ الشَّوقُ في جَنْبيَّ والْتَهبا ؟

كأنَّ ما انْعقَّ عنهُ من مُعَصْفَرِهِ
قميصُ يوسُفَ غشَّوْهُ دماً كَذِباً

ومنها في التخلُّص إلى المديح : [3]

ومَهمهٍ يتَتَراءى آلُهُ لُجَجاً
يستغرقُ الوخْدَ والتَّقْريبَ والخَبَبا[4]

كم فيهِ حافرُ طِرفٍ يحتَذي وَقَعاً
من فوقِ خفٍّ بَعيرٍ يَشتكي نَقَبا

تَصاحبَ فيه الرِّيحُ والغَيمُ لم يَنيا
أنْ يَشرَكَا في كِلا خطَّيهِما عَقِبا

فالريحُ ترضعُ دُرَّ الغيمِ إنْ عطشَتْ
والغَيمُ يركبُ ظهرَ الرِّيح إن لَغِبا

(١) ورد البيت بعد التالي في تاج الدمية .

(٢) في الدمية وح : ألآن توقد .

(٣) البيت الأول فقط من الديوان ، والأبيات الباقية من الدمية : ١/ ٤١ .

(٤) المهمه : المفازة البعيدة : الآل : السراب . الوخد والتقريب والخبب : أنواع من العدو

أنكَحتُه ذاتَ خلخالٍ مُقرَّطَةٌ
والركبُ كانوا شهوداً والصّدى خُطبا

وسرتُ فيهِ على اسم اللهِ مُصطحباً
للعزمِ لا عدمتْهُ النفسُ مُصطحَبا

إلى أبي البحرِ إني لست أنسبُهُ
لجعفرٍ إن حساهُ شاربٌ نضَبا

يومَ الوغى من بني العبّاس عِترتُهُ
لكنّهُ غيرُ عباسٍ إذا وَهَبَا

لعزّهِ جعلَ الرحمنُ ملبسَهُ
من الشبابِ ونورِ العَينِ مُستَلَبا

وجهٌ ولا كهلالِ الفطرِ مُطّلِعاً
بدرٌ ولا كانْهلالِ القَطر مُنسكِبا

وعمّةٌ عمّتِ الأبصارَ هيبتُها
برغمِ مَن لبسَ التيجانَ واغتَصبا

لهُ القضيبانِ ، هذا حدُّه خَشَبٌ
وذاكَ لا يتعدّى حَدُّه الخَشَبا

كِلاهُما منهُ في شُغُلٍ يُديرُهما
بينَ البنَانِ رضىً يَختارُ أم غَضبا

قلْ للفراتِ : ألَم تَستحي راحتُهُ
حتى اقتديتَ بهِ ؟ أنّى ولا كَرَبا !

إخالُ أنملَ حادي عيسِهم [1] جَذبَت
معَ الزِّمامِ فؤادَ الصبِّ فانْجَذبا [2]

لم ترضَ مني في وادي الغَضا سَببي
حتى جعلتُ إلى رُوحي لهـا سَببا

غيداءُ أَغوى وأزوى حبُّها وكذا الـ....ـغَيداءُ غيٌّ وداءٌ لُفّقا لَقَبا

وخيّم الحسنُ في أكنافِ وَجْنتِها
والصدغ مدٌّ لـهُ من مِسْكِهِ طَنَبا

إذا رَنا طرفُها لم يـدرِ رامقُها
أتلكَ أجفانُ ظَبيٍ أم جفونُ ظُبى ؟

أقولُ للغصنِ : لا ألقـاكَ مَنثَنيـاً
من ذاتِ نفسكَ إلاَّ أن تَهُبَّ صَبا

تَعبتَ كي تَتَثَنّـى مثلَ قامتِها
إسْتغفرِ اللهَ منـهُ واربـحِ التّعبَا

خريدة لاعبتْ أطـرافُ صورَتِها
جلداً تَرَوّى بماءَي نعمـةٍ وصبا

تقرُّ منهـا عيونُ المـاءِ إن شربتْ
طوبـى لذي عطشٍ من ريقِها شَرِبا

وتشرئبُّ غصـونُ الوَردِ طـامِعَةً
في أن تكونَ لمَرعى نوقها عُشبا

---

(١) العيس : كرام الابل .

(٢) من هنا إلى آخر القصيدة من الديوان فقط .

(وقال في بلدة « زُوزن ») :

غَدَاً أحلُّ عــن الأوتادِ أطنــابي
لكي أشُدَّ على الأجمال أقْتابي [1]

(بسيط)

في كــل يوم ٍ عنــاقٌ للوَداع ِ جوٍ[2]
يَلفَّ قاماتِ أحبــابٍ بأحبـــابِ

ورحلةُ في غمام ِ النقــع ِ تمطر أسـ
واطــاً تُلمُّ بــأعجازٍ وأقــراب

كم أنشبَ البَينُ في أسروعه بَــرَداً
وكم أغــارَ على وَردٍ بعُنّـــابِ

والدهر شَوكٌ جنى أغصانِــه إبــرٌ
فكيفَ أملك منه قطفَ أعناب ؟

غوثايَ منهُ فمــا ينفــكّ يُقلقني
بسفرةٍ تَقْتضي تقويضَ أطنابي

كــأنني كرةٌ يَنْــزو بِهــا أبــداً
وقعُ الصَّوالجِ في ميــدانِ ألعــاب

ما أعوزَ الصبرَ في الأوصابِ من دَنِف
يذيقهُ البَينُ صَبراً ديفَ بالصّاب [3] !

إذا لوى يدَ حاديه الزمــام شَكــا
قلباً لذيفانِ صِلٌ [4] منه مُنسابِ

---

(١) الأقتاب : ج قتب وهو الأكاف الصغير على قدر سنام البعير .
(٢) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق ، وجو : صفة وأصلها جوى
(٣) ديف : خلط . الصاب : شجر مر .
(٤) الذيفان : السم القاتل . الصل : جنس من الحيات خبيث .

يا حبّذا زُوزَنُ الغـرّاء مـن بلدٍ
نابُ الحوادثِ عن أكنافهـا نـابِ
حسدتُ أذيالَ أثوابي وقد ظفِرَتْ
بشمٍّ تُربتِهـا أذيـالُ أثوابـي
تَودُّ عيَني إذا ما أرضُهـا كنستْ
لو صيغَ مكنسُها من شعرِ أهـدابي
أحنو عليهـا وأستسقـي لخطّتهـا
يدي سحابٍ جرورِ الذّيلِ سَحّابِ
كأنّها الخلدُ مـا تنفكُّ طـائفـةٌ
ولدانُهـا بأباريـقٍ وأكـوابِ
إن جئتُهـا فجوادي سابـحٌ مرحٌ
وإن رجَعتُ فمِعثارُ [1] الخُطا كابِ

وقال (في الشكوى) :

أقولُ لمُرجحن الغَـيم لمّـا
تَوالى الدمـعُ منه والنّحيـبُ :
(وافر)
أتَبكي حسرةً وأنـا المُعنّى ؟
وترفع رنّـةً وأنـا الغريـبُ ؟

---

(١) في را : مقتار .

وله أيضاً (في الغزل) :

كِليني لهمّ يَمْتري الدمعَ ناكبِ
فعهدُكَ يا أسماءُ نسجُ عناكبِ
(طويل)
عَناني بكِ الوجدُ المُبرِّحُ في النّوى
فيا ليتَ شعري أيُّ وجدٍ عَناك بي ؟

وقال (في الشكوى) :

باكَرنا وابلٌ سكوبُ
أدمعُه فوقَنا صَبيبُ
(مخلع البسيط)
فقلت للغيمِ قولَ حرٍ
للحزن في قلبِه دبيبُ :
إن كنتَ تَبكي على غريبٍ
فها أنا ذلكَ الغَريبُ

وقال في يومٍ باردٍ ، وهو من البَدائع :

يومٌ دعانا إلى حث الكؤوسِ به
ثلجٌ سقيطٌ وغيمٌ غيرُ مُنْجابِ
(بسيط)
وأفرطَ البردُ حتى الشّمسُ ما طلعتْ
إلاّ مُزمّلةً في فَرْوِ سِنجابِ

وقال أيضاً :

يـــا طيبَ ليلتِنا بصحبـــةِ غـــادةٍ
حسناءَ ناعمةِ الشّباب كعـــابِ
(بسيط)
عطفـــتْ أناملَهـــا لتقرعَ دفّهـــا
فقرعتُ أبوابـــاً مـــن الأطْـــرابِ
ودهشتُ حينَ رأيتُ في غلَسِ الدُّجى
شمساً تصكُ البـــدرَ بالعُنّـــابِ
حَسّتْ[1] بوجنتِها وفـــاحمِ صدغِها
كـــالبدرِ مُلتحفـــاً بريشِ غراب

وله أيضاً :

زمـــانُ الصبـــا موسمٌ للتّصابي
يمرُّ عليـــكَ مرورَ السّحـــابِ
(متقارب)
ستدفـــنُ عـــن كثبٍ في التّرابِ
فلِمْ تدفنُ المـــالَ تحـــتَ الـــتّرابِ ؟
وليسَ يسوغُ بَـــرودُ الشّراب
اذا مـــا خلعتَ بُـــرودَ الشّبـــابِ

(١) في الديوان : أحس ، ولعلها كما ذكرنا .

وقال في المجون :

أعــوذُ باللهِ مـــن سَحّاقةٍ مَلكتْ
زِمَامَ قلبي لا من غـــاسِقٍ وَقِبــا
(بسيط)
مــــلاكُ حرْفتهـــا كسٌ وملْحفَةٌ
وهكذا رأسُ مـــالي فيشةٌ وقِبــا
طرقتُهـــا فأبــاحتْـــني ذخيرتَهــا
بعد الهدوّ ولم تمنع حِمى الوَقَبــا

ولــــهُ :

زعيمُ خَوّارِ الزي[1] عجلٌ ، ونطقُهُ
خُوارٌ فَيا تبّاً لهُ جاءَ أو ذهــبْ
(طويل)
يناسبُ عجـــلَ السامري بــــزورهِ
سوى أنَّ هذا من خَرىً وهوَ من ذَهَبْ

ولـــه :

ما أنتَ بالسّبب الضّعيفِ ، وإنّما
نُجْح الأمور بقُــوَّةِ الأسْبــابِ
(كامل)

---

(١) خوارزمي .

فَاليومَ حاجَتُنا إليكَ وإنّما
يُدْعى الطّبيبُ لكثْرةِ الأوْصابِ (١)

لمّا قُتل أبو نصرٍ الكُنْدُرِيّ قالَ مخاطباً السلطانَ ألْبْ أرْسلان :

وعَمُّكَ أدناهُ وأعلى مَحلّهُ
وبوّأهُ من مُلكه كَنَفاً رَحْبا

(طويل)

قَضى كُلُّ مولىً منكُمُ حقّ عبدهِ
فخوّلَهُ الدُّنيا ، وخوّلْتَهُ العُقبى (٢)

(١) البيتان من معجم الأدباء : ٣٦/١٣ . وينسبان إلى « الزبير بن بكار » يقولهما للفتح بن خاقان .

(٢) البيتان من معجم الأدباء : ٤٣/١٣ .

حرف التّاء

(وقال في وأدهن) :

القــبرُ أخفــى سترةً للبنــاتْ ودفنُها ، يُروى ، منَ المكرُماتْ

(سريع)

أمــا رأيتَ اللهَ ، عــزَّ اسمُه، قد وضعَ النعشَ بجنبِ البَناتْ ؟ (١)

وقال (في الفخر) :

قلْ للذي يَبْتغي جاهي ومَنزِلــتي : راجعْ يقينَــك واستكشفْ غيابتَهْ

(بسيط)

فلي قوافٍ سلبْنَ النّحــلَ ريقتَه والمــاءَ رقّتــه والسحرَ رُقْيتَهُ

وقال أيضاً (في غلام) :

أفدي الذي سادَ الحسانَ ملاحــةً حتى تواضعَ كلهم لسيادتــهْ

(كامل)

---

(١) يقصد بنات نعش .

ضاجعتُه والوردُ تحتَ لحافهِ ولثمتُه والبدرُ فوقَ وسادتهْ

وله أيضاً (في الغزل) :

تقولُ سُلَيمى ، والمشيبُ قناعُها : أتصرم منّي حبلَ ودٍّ وصلتُه ؟

(طويل)

فان ينقطع وَرْدي فأنتَ قطفتَهُ وإن يبلُ ديباجي فأنتَ ابتذلتَهُ

وله (في غلام) :

بدرٌ يهزُّ التثني في غلالتهِ غصناً من البانِ ، قلبُ الصب منبتُهُ

(بسيط)

قبّلتُ فاهُ فكادَ السبُّ ينطقُهُ لولا شفيعُ حياءٍ قامَ يُسكتُهُ

وقال أيضاً (في الهجاء) :

يا نحسُ ، يا كيوانُ (١) فعلُكَ كلُّه سمجٌ لديَّ فما لَكَ استملحتَهُ ؟

(كامل)

والجدي بيتُك وهو أيضاً طالعي أفسدتَه وحرىً لو استصلحتَهُ

وَيْ للجُديِّ ذبحتَهُ وسلختَهُ وشويتَهُ وأكلتَهُ ، وسلحتَهُ

وله في الافتخار :

إذا أُحصيتُ أدواتُ الكفاةِ فليسَ أداتي إلاَّ دَواتي

(متقارب)

وما ذاكَ إلاّ لأني بها أُداوي عُفاتي وأدْوي عُداتي

---

(١) كيوان : اسم زحل بالفارسية .

وقال (في الهجاء) :

قلْ لهارونَ : قد علاكَ اصفرارٌ شاهدٌ بالبغاءِ ما فيهِ بَهْتُ
(خفيف)
قد رأيناكَ في الكرى فسُررنا لمْ؟ لأنَّ الحمارَ في النّومِ بَخْتُ

وقال (في الهجاء) :

كَبَتْ بِبَنِيْ غو دولةٌ شَكرتُها لمّا كبتْ
(مجزوء الرجز)
كانتْ لديهِ نبتَتْ فالآنَ عنهُ قد نبتْ

قال يداعبُ الوزيرَ أبا نصرِ الكُنْدريَّ قبل أن يُصبح وزيراً ، لمّا قدِمَ من قريته «كُنْدُرَ» ، وهذه القطعة من أوائل شعرِه :

أقبلَ من «كندرٍ» مُسَيخرةٌ للنحسِ في وجههِ علاماتُ
(منسرح)
يحضُرُ دورَ الأميرِ وهو فتىً موضعُ أمثالِهِ الخراباتُ
فهوَ جحيمٌ ودبرُهُ سعةً كجنّةٍ عرضُها السماواتُ[1]

---

(١) الرواية والأبيات من معجم الأدباء : ١٣/٤٠ .

حرف الجيم

(قال في الخمرة) :

ظهرتْ على قمــمِ البروجِ ثلوجُ   وهوتْ كما يتطايَرُ المَحْلـوجُ
(كامل)
قُم يـا غـلامُ وسقّنيها [1] قهوةً   تذرُ الصحيحُ كأنّــهُ مَفلـوجُ
مع عصبةٍ رُزقوا الحِجى في دينهِم   لكنّهـم عنـدَ الشرابِ علُوجُ
لم يسأموا شُربَ الطـلا حتى بَـدا   للفيلِ في سُمِّ الخيـاطِ ولـوجُ

وقال (في غلام) :

ومعـذّرٍ بقلـتْ حديقةُ وجهِهِ   وغدَتْ بأحسنِ حليةٍ تتَبرّجُ
(كامل)
لمـا توسّط وجنتيـهِ نَرجـسٌ   حسداً ، تطرّفَ عارضيـهِ بنفسجُ

---

(١) في ن ٢ : واسقنيها .

وقال (في النصيحة) :

إذا عـلا رَذلٌ ، ولم يُدْلِ في الـ......ـمَجدِ ببرهـانٍ ولا حُجّـهْ
(سريع)

فاخدِمْـه مـا دَرَّ لهُ المـالُ أو نشّتْ على مِقلاتِـهِ العجّـهْ
واتّخـذِ الصبرَ عـلى لؤمِـهِ سفينـةً ان طمـت اللُّجّه
وصانع الدهرَ ، فكـم دولـةٍ صاغَتْ من السلحَـةِ أُترُجّـهْ

وله ، وقد تصرّف في معنى الهُدهد :

لا يشرُفُ الـرذلُ بـأن يكتسي من الغِنى تاجـاً وديباجـا
وهـل نَجا الهدهـدُ من نَتنِـهِ بلُبْسِـهِ الديبـاجَ والتّاجا ؟ (١)

---

(١) الدمية : ١/٦٥١

حرف الحاء

(قال في النصيحة) :

أما إنّها الأيـامُ تأسو وتَجـرحُ
وتَملأُ بالـدرِّ الإنـاءَ وتَرمـحُ
(طويل)

ومـا الدهـرُ إلا محنـةٌ إثْرَ محنـة
ونحنُ علـى الحالَيْنِ نَـأسى ونَفرحُ

ومـا الناسُ إلا رفقـةٌ ومطيُّهم
إلى الأمدِ المَقْصودِ تُمسي وتُصبحُ

وحكمُ الرَّدى حكمُ العمومِ ولم يزلْ
بِروقيـهِ في وجـهِ البريّـةِ يَنطحُ

وقال (في الخمرة) :

ارغبْ بسمعكَ عن مقـالِ الـلاحى
واقدحْ زِنـادَ الهـمِّ بـالأقـداحِ
(كامل)

وإذا دَجا ليــلُ الهمومِ فسُلَّ عن
دَنّ المُدامــةِ فالقَ الاصبــاحِ

يا حبّذا الساقي يُديــرُ بَنانُـــــهُ
راحــاً تُفيــدُ براحةِ الأرواحِ

مشمولــةً لم ترضَ رأسَ إنــائهــا
إلاّ بلُبسِ عمامــةِ التفّــاحِ

مثل الشقائــقِ غَضّةٌ وكأنّمــا
نسجَ الحَبابُ لهــا نقابَ أقــاحِ

لم يَشربِ المحزونُ منهــا قَطـرةً
إلاّ تــدرّعَ هــزّةَ المُرتــاحِ

وكــأنّها في كــأسِها مسفوحــةً
من عتقِها تُنْبي عــن السّفّـــاحِ

وكأنّما الأوتــارُ عــن جَسّاتِهــا
نَطقت بألسنة لهُــنّ فِصــاحِ

وله (في كتاب وصله) :

أتاني كتابٌ جامــعٌ كــلَّ طرفــةٍ
كمــا جَمعت شتّى سفينــةُ نــوحِ

(طويل)

لأرضيكَ أستسْقي ، ومَغناكَ أنتَحي
وودُّك أستبقــي ونحوِك أوحـــي

وله (في الشكوى) :

ولما غادرَ الحدثانِ شلوي
بمُستنِّ الخُطوبِ لقىً طَريحا
(وافر)

وجرّعني الرَّغاوةَ صرف دهرٍ
يُسوِّغُ غيريَ الصِّرفَ الصَريحا [1]

تركتُ الاتّكالَ على الأماني
وبتّ أضاجِعُ اليأسَ المُريحا

وطنّبتُ الخيامَ بدارِ قَومي
وقلتُ لحاديَيّ إبلي : استَريحا

وذاكَ لأنني من قبلِ هذا
أكلتُ تَمنّياً ، فخَريتُ رِيحا

وله (في فتى) :

فتىً ما بهِ سُقمٌ وتعلُوهُ صُفرةٌ
فشأنُكَ في الفَحوى ودَعْني من َ الشرحِ
(طويل)

وقال في عذار غلام يكتب خطاً مليحا :

قد قلتُ . لمّا فاقَ خطُّ عذارِه
في الحُسنِ خَطّ يمينهِ المُستَملَحا :
(كامل)

مَن يكتبِ الخطَّ المليحَ لغيرِهِ
فلنفسه ، لا شكَّ ، يكتُبُ أملَحا

(١) في ف ٢ : الريحا .

حرف الدال

قال في مديح الوزير أبي نصر الكُندريّ ، لما صار وزيراً لطغرِلْبك :

أقْوتْ [1] معاهدُهُمْ وشطَّ [2] الوادي
فبقيتُ مقتــولاً وشَطَّ الــوادي
(كامل)

وسكرتُ من خمرِ الفراقِ ورقّصَتْ
عَيْني الدموعَ على غناءِ الحادِي [3]

فَصبابتي جدٌ وصَــوبُ مَدامعــي
جُودٌ ، وصُفرةُ لونِ وجهيَ جادي [4]

أسعى لأسعدَ بالوصــالِ وحقَّ لي
إنَّ السعادةَ في وصــالِ سُعــادِ

---

(١) أقوت : خلت . شط : بعد .
(٢) في الدمية : ٢/٨٠٥ : بشط .
(٣) ورد البيتان في معجم الأدباء : ١٤/٣ .
(٤) الجادي : الزعفران .

قالت ، وقد فتّشتُ عنها كلّ من
لاقيتُهُ من حاضرٍ أو بادِ :
أنا في فؤادكَ فارْمِ لحظَكَ نَحْوه
تَرَني ، فقلتُ لها : فأينَ [1] فؤادي ؟
لم أدرِ من أيِّ الثلاثةِ أشْتكي
ولقد عددتُ فأصغِ للأعدادِ :
من لحظها السيّافِ ، أم من قدها (م)
الرمّاحِ ، أم من صُدغها الزّرّادِ ؟
ولكَمْ تمنّيتُ الفراقَ مُغالطاً
واحتلتُ في استثمارِ غَرسِ ودادي
وطمعتُ منها في الوصالِ لأنّها
تَبني الأمورَ على خلافِ مُرادي
هي مَن علمتُ وليسَ لي من بعدِها
إلاّ مُراسلةُ الحَمام الشّادي
يَبكي فأسعدُه وصدقُ عنايتي
بسُعادَ ، تَحملُني على الإسعاد
في ليلةٍ من هَجرِها شَتَويّةٍ
مَمْدودةٍ مَخْضوبةٍ بمدادِ [2]
عقمت بميلادِ الصباحِ وإنّها
في الامتداد كليلةُ الميلادِ

---

(١) في الدمية : ٨٠٥/٢ : وأين .
(٢) ورد البيت في معجم الأدباء : ٤١/٣ .

ما الرأيُ إلاّ أنْ أثيرَ ركائبي
مزمومةً مشدودةَ الأقتادِ [1]

من كلِّ مشرفةٍ كهيكلِ راهبٍ
تصف النجاء بمرسنٍ مُنقادِ

ضرغامِ عرّيسٍ وحُوتِ مَخاضةٍ
وعُقابِ مَرقبةٍ وحيّةِ وادِ

نقشَتْ بحيثُ تناقلتْ أخفافَها
صورُ الأهلّة من نعالِ جيادِ

أرمي بها البيداء تَفْرقُ جنّها
فيها ، وتَرميني إلى الآمادِ

حتى تُنيخَ بروضَةٍ مَرْهومة [2]
كمُرادها دَمَثاً وخصبَ مُرادِ

فحصَ النسيمُ ترابَها فانشقَّ عن
نهرٍ كتنسيمِ الرحيقِ بَرادِ

وخلا الذبابُ بأيكها غَرِداً على
أعوادِها كالمُطربِ العَوّاد

وتَرعرعتْ فيها أطَيفالُ الكَلا
مُمْتكّةً [3] ضرعَ الغَمامِ الغادي

(١) الأقتاد : مفردها القتد وهو خشب الرحل .
(٢) روضة مرهومة ، أصابتها الرهجة ، وهي المطر الضعيف الدائم .
(٣) امتك : مص .

ونَضا سرابيلَ المذلّـــة [1] جارها
واجتـــابَ غـــرّاً سابـغَ الأبـــرادِ
هيَ حضرةُ الشيخِ العميد ولم تزَلْ
شربَ العطاشِ ومسرحَ الـــــورّاد

ومنها :

غرَّ الأعـــادي منهُ رونَـــقُ بشْرِهِ
وأفـــادَهُمْ بَرْداً عـــلى الأكْبـــادِ
هَيهـــاتَ لا يَخْدعُهـــم إيماضُهُ
فالغيـــظُ تحـــتَ تبسّمِ الآساد
فالبَهـــوُ منـــهُ بالبَهـــاءِ مُوشّـــحٌ
والسّرحُ منـــهُ مُـــورقُ الأعـــوادِ
وإذا شياطـــينُ الضّلال تَمـــرَّدوا
خلاّهُمُ قُرَنـــاءَ في الأصفاد [2]
شنَّ النهابَ على قوافـــلِ مالـــــه
بأنـــامل كمغـــيرةِ الأكـــــراد
وحوى مقاليـــدَ العُـــلا بصنائـــعٍ
عُقدت قلائدُهـــا عـــلى الأجيـــاد
عدّوهُ في الأجنـــادِ من أفرادها
ورأوه في الأفـــراد كالأجنـــادِ

---

(١) في را : المجرة .
(٢) الأبيات من معجم الأدباء : ٤٢/١٣ (الأبيات الأربعة فقط) .

مرحاً كما هبَّ النسيمُ مُجاذباً
أهدابَ خوط البانة المَيّاد

وهُو الغَمامُ بعَينه فظباه للْ
إبراق والإنذارُ للارعادِ

وهو الخضمّ إذا سَطا قَهرَ العدا
بتلاطُم الأمواجِ والأزْباد

وهو الصّباحُ يعطّ أرديةَ الدُجى
والشمسُ لا تَخفى بكلِّ بلاد

والسيفُ يُزهقُ نفسَ كلِّ معاندٍ
والفهر [1] يدمغُ رأسَ كلِّ مُعاد

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتمٍ
في حلمِ أحنفَ في دهاءِ زيادِ

فنَداك مُنتجعي وبابُكَ مقصَدي
وهواكَ راحلتي ومدحُك زادي

ولسوفَ تعلو باعتنائك همّتي
حتى أنُصَّ [2] على السماك وسادي

قال يمدحُ الرئيس أبا المحاسن سعدَ بنَ محمدِ بنِ منصورٍ ، وهو رئيسُ جُرجانَ بقصيدة داليّة ، مطلعها :

عجبتُ لطيفها أنّى تَصَدّى
وأومضَ بالتواصُلِ ثمَّ صَدّا
(وافر)

(١) الفهر : الحجر يدق به الجوز .
(٢) نص : رفع ، ونص المتاع : جعل بعضه فوق بعض .

نصبتُ لصيده أشراكَ نَومي
وصاحَ الانتباهُ به فنَدّا
هو الطاووسُ زيّاً واختيالاً
ولكنْ كالقَطا ليلاً تَهَدّى

قال الباخرزي : « قلتُ : فلما بلغتُ هذا البيتُ قال : ما أحسنَ ما جمعتَ في المعنى بينَ هذين الطائرين ! قد طيّرتَهما على ألسنة الرواة سائريْنِ ، وتخلصتَ إلى المدح . فلما سمع قولي فيه :

عَلا همماً فليسَ يهشُ إلاّ
إلى قرص السماءِ إذا تغدّى

هزَّ إليَّ ملاثَ العمامة ، وشهد لي في الصنعة بالامامة . حتى انتهيتُ إلى قولي :

منَ القوم الذينَ إذا استُمدّوا
ندىً فضحوا الخضمَّ المُسْتَمدّا
فلا ودّوا لرأس العزِّ شَجّاً
ولا شَجّوا بدارِ الهُونِ وُدّا

وقال (في غلام) :

وشادنٍ قد بكى عشقاً فأعجبَني
بنرجس صبّ ماوَرداً على وَردِ
(بسيط)

كأنَّ أدمعَــهُ والعــينَ تسفكُها
درٌّ وهي فَهوى من جانب العقــد

وقال في تفضيل العُزبة على التأهـل :

يَشقى المُعيلُ بقلبٍ ضيــقٍ كَمَدا
فــلا أرى أنْ يُسمّى صدْرُه بلَدا
ما قرطت أذْنَ زنبيلٍ بنانُ يَــدي
لو كنتُ أملكُ للدهــرِ الظلّوم ِ يَدا
وكنت أحسدُ من لم يتّخــذ ولــداً
لولا قضاءُ الذي لم يتّخــذْ وَلــدا
لا خيرَ في كبد تمشي إذا دَجَنــتْ
في القلب منه سموم تصدعُ الكبــدا
إنْ كنتَ أهلَ بناءِ المَجد فاجتنبِ الـ
بناءَ بالأهلِ وابــغِ المجدَ مُتّحدا
فتلــكَ بالشرِّ كالرمّــان مُكتنــزاً
دعْهــا وإن كانَ كالرمّان ما نَهدا
وإنْ أتَوكَ وقالوا : ثغرُها بــرَدٌ
فاحزم فكم بَرَدٍ قد أحرقَ البَلَدا !
فالظهرُ منــكَ بحمــل مُوقرٌ أبــداً
والبطنُ منها بحمل مثقــلٌ أبــدا
وإن يَطشْ وَتدٌ ما بينَ فخذِكَ فاشْ
ججهُ ، فقدماً أذاقوا الشجّــةَ الوَتدا

والقوسُ إذ زوّجوها السهــمَ شاكيةٌ
تُرِنُّ والسيفُ بَسّامٌ إذا انفــردا

قال (وقد وصلته رسالة) :

أعليُّ قــد وافى كتابُــك فانطفــا
عنّيَ به حرّ الهمــوم وقد وَقَــدْ
(كامل)
وفككتَ عنــه فكم فصولٍ تنتقــى
ونظرتَ فيه فكــم فصوصٍ تُنتقد !

وقال (في الشكوى) :

تعالَ نَنْدُبْ مــع وُرْقِ الغَضــا
على عهــودٍ كَرَبَتْ أنْ تَبيــدْ
(سريع)
وقلّصِ الذيــلَ وشمّــرهُ عَنَ
خَلْفٍ من الخلقِ حكاهــم لَبيدْ (1)

وله في الفخر :

برى جسدي حُبّ العُــلا فتهدّمت
ورَحْلي على الحرْف العَلاةِ مَشيدُ (2)
(طويل)

---

(1) تضمين لقول لبيد : (الديوان : ١٥٧) .
ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الأجرب
واقتباس من الآية : « وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » (١٩/٥٩) .
(2) العلاة : الناقة المشرفة الجسيمة .

وقد مَلَكتْني شيمةٌ ملكيّةٌ
وَهَمّيَ جِنّيٌّ الغرام ِ مَرِيدُ

فلله ِ نفسٌ عذّبتني بهمِّها
عَراني بها النّقصانُ وهي تَزيدُ

تُطاوِعُني الآسادُ وهْيَ أبيّةٌ
ويَدْنو إليَّ النّجمُ وهْو بعيد

وقَفرٍ يظل الركبُ في حُجُراتهِ
يضل ومنها قائمٌ وحَصيدُ

إذا استبقَتْني الريحُ فيها تعجبتْ
وقالتْ : لحاكَ اللهُ أينَ تريدُ ؟

تناسَبَ فيها قيدُ (١) رُمحي وليلتي
وغايتُها ، كُل الثلاثِ مَديدُ

وقال في الهجاء :

أشاعَ فسادَهُ الفَسَوي (٢) نصرٌ
وفاقَ جميعَ أهلِ فَسا فَسادا (٣)

(وافر)

فسا هَجوي عليه فَسادَ . إخسْ
بمَن هجوٌ عليه فَسا فَسادا (٤)

---

(١) قيد : مقدار .
(٢) الفسوى : المنسوب إلى بلدة فسا بفارس قرب شيراز .
(٣) من الفساد .
(٤) من السيادة .

وقال (في الرثاء) :

أوالدتي بعُـــدتِ عــلى التّـــداني
فيا عجبــاً من الدّاني البعيــدِ !
(وافر)
وكـــانَ لنا دعــاؤك في صُعــودٍ
فكيفَ انحــطَّ من تحتِ الصّعيدِ ؟

وله (في الفحش) :

وكــأنّـــه فرعــونُ إلاّ أنّـــهُ
من جانبِ الوجْعاءِ ذُو الأوتــاد [1]

قال في الدمية (١/٣٠٦) : « وقد اتفقَ لي في معناهُ ما لا أحسبني سبقتُ إليه من قصيدة (في الغزل) :

واتّفـــاقِ حَسَـــنٍ ألْــ
ــفَ شمــلاً قــد تبــدّدْ
(مجزوء الرمل)
واعتنـــاقِ ضيّـــقٍ يـــو
همُـــكَ المَمْـــزوجَ مُفردْ

وله (في الغلام) :

عَراني زكـــامٌ فابتَـــلاني مُكْرها
بهجـــرِ « بديعٍ » في ملاحتِـــهِ فردِ
(طويل)

---

(١) الوجعاء : الدبر . وذو الوتاد : كنية فرعون ؛ يشير بذلك إلى أنه كان ظالماً لوطياً .

وذاك لشميّ وردَ خدَّيْهِ دائماً
وقد يَعْتري داءُ الزكامِ من الوردِ

وله [1] (غزل الغلام) :

لرجلهِ عندي يدٌ إذ خطَت
نحوي فداها كل رجل ويد
فلا تمتّعتُ بحُريّتي
إن لم أعامِلْهُ برقّ الأبَد

وله في شدّة البرد :

لبسَ الشتاءُ منَ الجليدِ جلُودا
فَالبسْ فقدْ بَردَ الزمانُ برُودا [2]
(كامل)
كم مؤمنٍ قرَصتْهُ أظفارُ الشتّا
فغَدا لسكّانِ [3] الجَحيمِ حَسودا
وترى طيورَ الماءِ في وكُناتِها [4]
تختارُ حرَّ النارِ والسّفّودا

---

(١) الوزن مضطرب بين السريع والرجز .

(٢) الأبيات من وفيات الاعيان : ٦٨/٣ ومن معجم الأدباء : ٣٧/١٣ وشذرات الذهب : ٣٢٨/٣ .

(٣) في معجم الأدباء : لأصحاب .

(٤) في معجم الأدباء : أرجائها .

وإذا[١] رمَيْتَ بفضلِ[٢] كأسكَ في الهوا
عادَتْ عليكَ من العَقيقِ عقودا!
يا صاحِبَ العُودينِ لا تُهمِلهما
حَرِّكْ لنا عوداً وحَرِّقْ عُودا [٣]

وله (في الشكوى) :

لا تُنكري يا عزَّ إن ذلَّ الفتى
ذو الأصل ، واستَعلى لئيمُ المَحتدِ
(كامل)
إنَّ البُزاةَ رؤوسُهُنَّ عواطلٌ
والتاجُ معقودٌ برأسِ الهُدهدِ [٤]

وقال في الهجاء (والفحش) :

وقاضٍ لنا أيّرِ أيّدِ
يَنيكَ الرَّدِيَّ مع الجيِّدِ
(متقارب)
فقلتُ : تقولُ بهم أم بهنَّ ؟
فقالَ : بهنَّ يا سيِّدي

(١) في معجم الأدباء : فاذا .
(٢) في معجم الأدباء : بسؤر .
(٣) في معجم الأدباء وشذرات الذهب : ٣٢٨/٣ : حرق .... وحرك . العود الأول : آلة الطرب (المزهر) للسماع ، والعدد الثاني : الحطب للدفء .
(٤) من الدمية : ٦٥١/١ .

قال في أبي منصور السمعاني [1] :

شُغلتُ بسمعانيٍّ مروٍ مَسامعي
فحزتُ المُنى من أوحدِ العصرِ فَردِهِ
(طويل)
وألبستُ زيّاً من نسائجِ وَشيِهِ
وقُلِّدتُ سمطاً من جواهرِ عقدِهِ
وسرَّحتُ منه الطرفَ في متواضعٍ
أتى نحوَهُ الجبّارُ وهوَ ابنُ عبْدِهِ
فباتَ عزيزَ العيشِ في بيتِ عزِّهِ
وظلَّ قريرَ العينِ في ظلِّ مَجدِهِ

---

(١) من الدمية : ٢/٨٤٦ .

حرف الذّال

(وله في غزل الغلام) :

نَفسي فــداءٌ لــذي حفاظٍ يـنفــذُ في مُهجتي نَفــاذا
(مخلع البسيط)
قلتُ ، وقد تهتُ في هَــواهُ : « يا ليتَني متُّ قبلَ هذا » [1]

وله (في الشكوى من الفقر) :

إن كانَ ابليسُ [2] لإبلاسِهِ [3] من رحمةِ اللهِ يُسمَّى كَذا
(سريع)
فاسْمِيَ إفْليسٌ لأني مــنَ الْـ إفلاسِ في خَطبٍ شَديدِ الأذى

---

(١) سورة مريم (١٩) / الآية ٢٣ ، وتمام الآية : « قالت : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » .

(٢) ابليس : يونانية الأصل من لفظة (Diabolos) أي الكذاب ثم الشيطان .

(٣) أبلس من رحمة الله : يئس .

حرف الرّاء

(وقال في الغزل) :

أطلعتَ يـا قمري عـلى بَصَـري
وجهاً شغلتَ بحسنِهِ نَظَري
(كامل)
ونزلتَ في قلبي ولا عجبٌ
فالقلبُ بعضُ منازِلِ القمَرِ

وقال (في الشكوى) :

يمر عليّ زمانُ الرّبيع
ولا العيشُ حلوٌ ولا الكأسُ مُرّ
(متقارب)
فأفلاكُه بعنادي تَدورُ
وأخلافُه بخلافي تَدِر
أجرّعُ من شَرْبِهِ ما يسوءُ
وأحرَمُ من أرْيِهِ ما يَسُر
وأشربُ من مُقلتي ما يَضيرُ
وآكلُ من كبدي ما يَضرّ (1)

(1) في ف ٢ : يضير.

ودَمعي كـالبحرِ طـامي العُبابِ
وَعينيَ في مائِهـا المِلــحُ دُرّ

غدَت نُهُري[1] وهيَ دُهمُ الشّبابِ[2]
وكنـتُ وكـانتْ ليالـيَّ غُـرّ

لـوردٍ من الخدِ أضحِـي أشمُّ
ومسكٍ منَ الصدغِ أمسي أجـرّ

وليسَ يفـي لي وأيـنَ الوفـاءُ ؟
صديقٌ صَدوقٌ مـنَ الناسِ طُرّ

وممّـا يشقَ عـلى الحـرِّ أنْ (م)
يقالَ لكـلٍّ منَ النـاسِ : حرّ

وقال (في الخمرة) :

تذكّـرَ نجـداً فحنَّ ادّكـارا
وقال : سقَى اللهُ تلـكَ الديّـارا
(متقارب)

ولاحَ بِهـا برقُهـا فاستعـارَ [3]
فؤادُ المتيّمِ منهـا استْعـارا [4]

وشاقتْـهُ من عُصْرِهـا حالتـانِ
خلعُ العِـذارِ ووصـلُ العَذارى

(١) نهر : جمع نهار .
(٢) في را : الشباب .
(٣) استعار : من الاستعار .
(٤) الاستعار : الاحتراق .

لياليَ أكنافُها طَلْقَـةٌ
ولم يُحدثِ الشملُ فيها انتِشارا
تسيلُ أباريقُها بالمدامِ
كما جرحَ البازُ جيدَ الحُبارى
تَغصّيتُ [1] عنها سوى حسرةٍ
تُديمُ المُقامَ وتَأبى انحِسارا
فللهِ ما أجهلَ المستهامَ !
أبعدَ العشيّةِ يَرْجو عَرارا [2] ؟

وله (في الغزل) :

ما أنسَ لا أنسَهُ والبَينُ جدّ بهِ
وفَجعةُ الدهرِ لا تُبقي ولا تَذَرُ
(بسيط)
وفي فؤاديَ من لذعِ الهوى سَقَرٌ
طولَ الزّمانِ وما أدراك ما سَقَرُ !

وله (في الغزل) :

وما أنسَ لا أنسَ يومَ الرحيلِ
إذْ أزمعتْ آلُ لَيلى ابْتكارا
(متقارب)

---

(١) تغصيت عنها ومنها : ابتعدت .
(٢) تلميح إلى البيت المشهور :
تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار

أفاضَتْ دُموعاً وفضّت جموعـاً
وشاقَتْ صُدوراً وشقّت صدارا

وجارتْ فصارَ ليَ الحُـزنُ جـارا
ونارتْ فأضرمت القلـبَ نـارا

وقال (في المديح) :

يـا مؤمنـاً يُطلـعُ شمساً إذا
ألقتْ ذُكـاءُ اليـد في كـافِرِ (١)
(سريع)
فـدُمْ لمَكْسورِ العُـلا جابِراً
ما كسرَ الجـوعَ أبو جـابِـرِ (٢)

وله أيضا :

إذا الفُجّارُ أطغاهُـمْ غِناهُـمْ
فعامُهُمْ بـهِ عـامُ الفِجارِ (٣)
(وافر)
فيفجَؤُهُـمْ بأرمـاحٍ طِـوالِ
ويفجعُهُمْ بأعمـارٍ قِصـارِ

---

(١) الكافر : الليل .
(٢) جابر بن حبة : اسم الخبز ، وكنيته أبو جابر .
(٣) أيام الفجار أربعة أفجرة في الأشهر الحرم كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس ، فلما قاتلوا قالوا : فجرنا . حضرها النبي (ص) وهو ابن عشرين . وفي الحديث : كنت أنبل على عمومتي يوم الفجار ، ورميت فيه بأسهم ، وما أحب أني لم أكن فعلت .

فمن دامي الكعوبِ بـذي كعوبِ
ومَخضوبِ الفقـارِ بذي الفقـارِ [1]

وقال (في المديح والعتاب) :

غريبُكُـمْ ليسَ لـهُ دارُ
مـا هكـذا يُحـترمُ الجـارُ
(سريع)
طيّرنـي فكـري إليكـم وفي
قلبي لطـيرِ الغـمّ أوكـارُ

ومن ورائي ، فارْحَمـوا غُربتي ،
حدائـقٌ غُلْـبٌ وأنْهـارُ [2]
لكنّـني خلفتُهـا مُكرهـاً
والدهـرُ تـاراتٌ وأطْـوارُ

وفي نـزول الخـانِ عـارٌ ، وفي
أمثالِكُـم [3] : نـارٌ ولا عـارُ

وقال (في المديح والردّ على الحسّاد) :

للهِ أي فـتىً أقـلّ رداءَهُ
كَتِفي عـلى حينَ استمرّ مَريـري
(كامل)

---

(١) ذو كعوب : الرمح . ذو الفقار : سيف علي (رضى) .
(٢) سورة عبس « وحدائق غلبا » .
(٣) أي جاء في الأمثال .

باكي سحابِ الجودِ يضحــك بشرُهُ
عن غــرَّةٍ قَمَريّــةِ التصويرِ

ما حطّــه بطنٌ إلى ظهــرِ الثّــرى
إلاّ لعُــودَيْ منــبرٍ وسَريــرِ

رَضَعَتْــهُ والــدتي وبوّأهُ أبــي
صدرَ الممالكِ بعدَ حِجْرِ الظّيرِ [1]

فمتى يشُمّ نقعَ الحروبِ يقُــلْ لَهُ
خيشومُهُ : يفديــكَ كُلُّ عَبيرِ

أيَرى [2] العدوُّ وقد تعــدّى طَورَهُ
ألاّ أشُقَّ صِماخَــهُ بزَئــيري ؟

ويَدي مُساعــدتي وسَيفيَ ساعــدي
والرمــحُ ظَهــري والسّنانُ ظَهيري

فليكــثرِ الحسادُ فــيَّ مقالَهُم
شَرْوى الكلابِ تناوَحَتْ بِهَريرِ [3]

ها إنني قَرْمٌ تَناهــبَ مَرتعــي
جُرْبٌ فهجْتُ مُجَرْجِــراً بِهديرِ

---

(١) أنظر : المرضعة لغير ولدها .

(٢) في ف ٢ : أرى .

(٣) تناوحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة جنوباً .

وله (في الافتخار بشعره) :

شِعريَ يَعلـو الشِّعري برُتبتِـــهِ
ويسحبُ الذَّيـلَ فوقَـه قَـدْري
(منسرح)
في كـلِّ بحرٍ عجائبٌ وأنـا النَّــ
بَحرُ ، ولكـن عجـائبي شِعـري

وقال أيضاً (في الشكوى من الناس) :

لا تـرجُ [1] خـيراً شاملاً في البشرْ
فشرُّهُم أشمـلُ إن يُعْتَـبرْ
(سريع)
ثلثاهُــم شَرٌّ ومصـداقُ مــا
حكيتُــهُ حَصْرُ حروفِ البَشَرْ

وله (في الفحش) :

سِكبْزَنـا [2] لا يـزالُ مُفْتخِراً
بأصلِهِ ، وهـو ليسَ بالفاخِـرْ
(منسرح)
مقلوبُ نصفِ اسْمِـهِ لزَوجتِهِ
يحبُّ مقلـوبَ نصفِـهِ الآخِـرْ

---

(١) في ف ٢ : لا ترجى .
(٢) أنظر شرح الكلمة في مطلع دراستنا لشعره وشاعريته .

وله (في غزل الغلام) :

كوى جوفَ قَلْبي لفُّ صُدغٍ مُشابهٌ
علامةَ مهمــوزٍ بمحــنيٍّ ظَهــرِهِ
(طويل)
وضاعفَ أشجــاني بسالم جسمِــهِ
ومعتــلَ عينيهِ ونــاقصِ خَصرِهِ

ويقول من قطعة (في الغزل) :

ولقدْ جذبــتُ إليَّ عقربَ صُدغِـها
فوجدتُـهــا جرّارةً مَجْرورَهْ (١)
(كامل)
وكشفتُ ليلةَ وصلِها (٢) عن ساقِـها
فرأيتُهــا مِـنْكــارةً مَمْكورَهْ (٣)

قال يمدح أبا جعفر بن المختار : (٤)

شِعرُك يا ابنَ المُختــارِ مُختــارُ
يكــادُ حَبَّ القلــوبِ يَمتـــارُ
(منسرح)

---

(١) العقرب لأنها تجر ذيلها . وقد أورد معجم الأدباء غير هذا المعنى .
(٢) في معجم الأدباء : جلوة .
(٣) البيتان من لباب الألباب : ٦٨ ، ومن معجم الادباء : ٣٤/١٣ .
(٤) وهو كمال الملك محمد بن أحمد مختار الزوزني . كان من أصدقاء الباخرزي ، وكان يعمل رئيساً لديوان الانشاء في سلطنة ألب ارسلان (٤٥٥ – ٤٦٥ هـ) (وزارت در عهد سلاطين سلجوقي : ٥٩ ، ٦٧) .

فِراسَتي فيكَ أنْ تسودَ وإنْ
ذُيِّلَ دونَ الغُيوبِ أَسْتارُ [2]

وله (في الغزلْ) :

زَكاةُ رؤوسِ الناسِ في عيدِ فِطرهِم
يَقولُ رسولُ اللهِ : صاعٌ من البُرِّ
(طويل)
ورأسُكِ أغلى قيمةً فتصدّقي
بِفيكِ علَينا فهْوَ صاعٌ من الدُّرِّ [3]

وله في الوزيرِ الصفيِّ أبي العلاءِ محمدِ بنِ عليٍّ بن حَسْوَل [4] :

يا حاديَ العيرِ رفقاً بالقَواريرِ
وقِفْ فليسَ بعارٍ وَقفةُ العيرِ
(بسيط)
واحلُبْ مآقِيَ عَيْنٍ طالما قَصَرَتْ
حُمْرَ الدُّموعِ على البيضِ المَقاصيرِ

---

(٢) البيتان من (وزارت در عهد سلاطين سلجوقي : ٧١) .

(٣) البيتان من معجم الأدباء : ٣٥/١٣ .

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن حسول ، أصله من همدان ومنشؤه الري ، يضرب المثل بأبيه في الكتابة والبلاغة وله شعر كثير في تتمة اليتيمة : ١٠٧/٢ . وأسلوبه رقيق وخطه جميل (دمية القصر : ٥٢٩/١) . والبيتان جزء من قصيدة ضاعت كلها ، فقد قال الباخرزي : « وأنشدته قصيدتي فيه ، وهي : » .

قال في صديقه أبي القاسم بكرِ بنِ المُستعينِ[1] الكاتبِ :

شرُفتُ ببكرٍ ثم أنّي بجاهِهِ
أنوِّهُ ، لا ، لا تُنكروا شرفَ البَكري

(طويل)

إذا صغتُ مدحاً فيه حَمْحَمَ صاهلاً
جواديَ إعجاباً بهِ ورَغا بَكْري[2]

أظُنُّ مِداداً سائلاً من يَراعِهِ
دمَ العُذْرَةِ المسفوحَ من لفظِهِ البِكرِ

---

(١) أبو القاسم محرر في ديوان الرسائل للأمير محمد بن محمود الغزنوي إبان رئاسة أبي بكر القهستاني ثم صار رئيساً للديوان في زمان سلطنة طغرلبك السلجوقي ، وقد شاركه الباخرزي العمل في الديوان المذكور . له شعر حسن ورد بعضه في (دمية القصر : ج ٢) والأبيات من الدمية : ج ٢

(٢) رغا البعير : صوت . والبكري : ولد الناقة أو الفتي منها .

حرف الزّاي

(قال في الشكوى والافتخار) :

أشكو إلى اللهِ أنّـي في سواسيـةٍ ... تَردّدوا بـينَ غَمّـازٍ وهَمّازِ
(بسيط)

إذا تَعاوَوْا[1] حشوتُ الأذنَ دونَهمُ ... بإصبَعي ولويتُ الشدقَ كالهازي

ولا أبـاني بإذلالٍ خُصصتُ بـهِ ... مِنهم وفيهم ، وإنْ خُصّوا بإعزاز

رِجلُ الدَّجاجةِ لا من عِزّها غُسلت ... ولا مِن الذُّلّ خِيطتْ مُقلةُ الباز

وله (في الشكوى) :

سلامٌ عـلى سادةٍ قـد جَـرى ... لهم في التمثل : مَن عزَّ بـزّاً
(متقارب)

وإني لفـي رُذُلٍ [2] آثَـروا ... سبيلَ القلابِ فمَنْ بَزَّ عـزّا [3]

وله (في الهجاء) :

يا صخرُ ما بِكَ هَـزّةٌ لنـدىً ... هَيهاتَ ما بالصخرِ من هَزّهْ
(سريع)

---

(١) في را : تعادوا .

(٢) في ف ٢ : رذك .

(٣) في ف ٢ : عزبزا

ما ذاقَ خبزَكَ في الــورى أحــدٌ للهِ ثُــمَّ لخُبــزِك العِــزَّه

وكتب إلى الأعزِّ أبي الفَضلِ محمدِ بنِ اسماعيلَ بهذه القطعةِ حينَما لقِيَهُ ببغدادَ (في الحمرة):

عــليَّ بهــا مدخّبنــةً بنــــدٌ عــليَّ بهــا مُفَدَّمةً بقزٍّ [٤]

(وافر)

إذا مــا قَهْقهَ الابريــقُ عَنْها ليكسوْ الكأسَ منها أحسنَ الزّيْ

تحيّرَ ناظــري في عــينِ ديــكٍ جرَتْ من مثــلِ مِنْقــارِ الإوزّ

أدِرْها يــا أعزَّ النــاسِ عِنــدي على تذكارِ سيِّدنا الأعَــزِّ [٥]

---

(١) ابريق مفدم : إذا وضع عليه مصفاة. القز والخز : قماش حريري. معربة. وهي كلمة فارسية

(٢) من الدمية : ١/٣٦٨ .

حرف السّين

(قال في الخمرة) :

قُم فاسْقِني الرّاحَ الّتي ثغرُها
مُبتسمٌ رغماً لدهرٍ عبوسْ
(سريع)

زُمُرُّدَ الكرم عقيقَ العَنا
قيد سُهيلَ الدَّنّ شمسَ الكؤوسْ

وله (في الشكوى) :

قلبيْ لعهدِ السرورِ ناسِ
والحزنُ مُلقٍ بهِ المَراسي
(مخلع البسيط)

وما سِوى التّربِ نَعلُ رِجلي
ولا سِوى الشّعرِ تاجُ راسي

أرْجي [1] معاشاً إلى لِباسٍ [2]
بلا معاشٍ ولا لِباسِ

---

(١) أرجيه .

(٢) لباس : اجتماع واختلاط .

يغصُ بالقارِ جوفُ دنّي
ويسكنُ العنكبوتُ كاسي

فكم تزوجتُ بنتَ كرمٍ
صلّى عليها أبو نواسِ

وقال (في الخمرة والساقي) :

وساقٍ سقاني في أرقّ زجاجةٍ
مورّدةٍ ، من نورها النارُ تُقتبسْ
(طويل)
كما استعبرَ المعشوقُ وهو مصعّدٌ
لأنفاسِهِ ، والدّمعُ في خدّهِ احتَبس
فذوّب لونَ الخدّ تسعيرةُ الحشا
وأجمدَ ذوبَ الدمعِ تصعيدةُ النّفَسْ

وقال (في الشكوى والموعظة) :

كم من فتىً نابهِ الأخطارِ ألحقهُ
بأخملِ الناسِ ذكراً خلْقهُ الشّرِسُ
(بسيط)
أما ترى البغْل سوءُ الخلْقِ ينسبهُ
إلى الحميرِ ومن أخوالهِ الفرسُ ؟

وقال (في الخمرة والغلام) :

صبراً جميلاً فلعلَّ أو عسى
يورقُ عودُ الوَصلِ بعدَما عَسا [1]

وربّما يبكي الجليدُ صَبوةً
كالصّخرِ تَنْدى عينُهُ وإن قَسا

فسقِّني مَشمولةً يَسْعى بِها
قضيبُ بانٍ في فؤادي غرُسا

ونادِ بالولدانِ إنِّي رَجُلٌ
أعجَمُ لا أعرفُ سُورةَ النِّسا

وإنْ رزقتَ في الملاهي نَفَساً
فعُدَّ كُلَّ العُمرِ ذاك النَفَسا

لا سيّما والبلبلُ الغرِّيدُ قد
أفصحَ بالنُّطقِ وكانَ أخرَسا

كأنّما في نَغَماتِ صَوتِهِ
يُشَمِّتُ الصُّبحَ إذا ما عَطَسا

والأقحوانُ ضاحكٌ مِن عَقلِ مَن
حازَ الشّرابَ دونَهُ وما احتَسى

---

(١) عسا : غلظ وصلب .

وله (في الغزل) :

أصبحتُ عبداً لشمسٍ
ولستُ من عبدِ شَمسٍ
(مجتث)

إنِّي لأعشقُ شيءٍ
وحقَّ مَن شَقَّ خَمسي [1]

هيفاءَ تتركُ يومي
بالهجرِ حاسِدَ أمْسي

ولا تُبالي جفاءً
أسُرَّ يوميَ أم سِي [2]

وقال في (الشكوى) :

يَنصُفُ القِرْنُ فيرتَدَّ زَكا عن
حَومةِ الحَربِ وقد جاءَ حَسَا [3]
(مديد)

وإن تَلَوكَّا مدحَهُ فوجهُهُ الْ
بَسّامُ لا يَتْلو علينا « عَبَسا »

---

(١) يريد أنه أعشق إنسان . وشق خمسي : أي خلق أناملي في يدي .

(٢) أي سيء .

(٣) ينصف : يقسمه نصفين . زكا : زوج . حسا : فرد ، أحساً هذا أم زكا ؟ : أي أفرد هو أم زوج ؟ .

وقال (في الشكوى) :

ولقد تمنّيتُ الجوابَ فقيلَ : مَــهْ
إنَّ التّمنّي رأسُ مالِ المُبْلسِ [1]
(كامل)
وإذا دنــانيرُ الفتى رقصَــتْ على
أظفــارِهِ خَجلتْ فلــوسُ المُفْلسِ

وقال (في الغزل) :

وخَريدةٍ تكسَى الجمــالَ لبــاسا
قاسي الفــؤاد بحُبِّهــا ما قــاسى
(كامل)
جُنّتْ خلاخلُهــا بنغمــةِ ساقِهــا
ولذاك سُمِّيَ جَرسُها وَسْواسا [2]

وله (في الافتخار) :

أنــا من صَدمــةِ النّوائِبِ قــاسِ
تَعْتَريــني خُطوبُهــا فأقــاسي
(خفيف)
إن بَدا قــارعٌ فــرأسيَ صَخــرٌ
أو بَدا فاجِــعٌ فَصخــري راسي

---

(١) المبلس : المتحير واليائس .

(٢) الدمية : ٣٨٦/٢ .

وله (في الهجاء) :

جُرْحُ جُحْرِ ابنِ غالبٍ ليسَ يُوسى
فأذِقْــهُ يــا ربِّ بــأساً وبُــوسا
(خفيف)
ما عَجبنا أنْ كانَ من خَيرِ قــومٍ
إنَّ قارونَ كــانَ من قَوم موسى

وقال (في هجاء أهل جرجان) :

يــا أهلَ جُرجــانَ عفاءٌ على
أرضكُمُ الكــالحــةِ العــابسَةْ
(سريع)
فسُفرتــي من خُبزكــم قَفرةٌ
وصُرَّتي مــن خَيركم آيِسَةْ
لكُــم هــواءٌ سلسٌ بولُهُ (١)
عــلى عثانينِكُــم النائِســَةْ
فالرِّجْــلُ من أوحالكــم رَطبةٌ
واليــدُ عــن أموالكــم يابسَةْ

قال في وصفُ مُنادمةِ محمدِ بنِ أبي نصرِ بنِ عبدِ الله وحسنِ مُواصفته :

فدتْكِ النفسُ يــا قَمَري وشَمسي
ويَومي في ودادِكِ مثــلُ أمسي
(وافر)

---

(١) في الديوان : بولها . العثانين : مفردها العثنون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين أو ما نبت على الذقن وتحته سفلا أو هو طولها . النائسة : المتحركة .

طَلعتِ فكـــدتُ أصبحُ من تـــلالي
جبينـكِ لي فقـــالَ الصُّدغُ : أمسِ

تعالَيْ وامْلأي سنـّـــي صبَاحــــاً
بضرَّةِ وَجْهــــكِ الوردي بخَمسِ

على وجهِ الـــذي أجـــنى بَنـــاني
ثـــماراً للمكـــارمِ وهْوَ غـَرْسي

فإن ساءلتـني : مَن ذاكَ ؟ أنشـــد
وذاكَ محمـــدٌ تَفديـــهِ نَفْسي [1]

---

(١) الدمية : ٣١٦/٢ .

حرف الشّين

(قال في المديح) :

كَتَبتُ وخطِّي حاشَ وجْهَكَ شاهِدٌ[1]
بأنَّ بَناني من أَذى السُّقْمِ مُرْتَعِشْ
(طويل)
ونَفْسيَ إنْ تأمُرْ تَعِشْ في سَلامةٍ
فأهْدِ لَها منْكَ السّلامَ ومُرْ تَعِشْ[2]

(١) في ف ٢ : شاهدا .

(٢) ورد البيتان كذلك في معجم الأدباء : ١٣/٤٨ .

حرف الصاد

(قال في الغزال) :

جادَ الزّمانُ وكــانَ ذا بُخْلٍ بها وأطاعَني [1] فيها وقدماً ما عصى
(كامل)
حتىّ تصالحنـا ومازجَ ريقَهـا ريقي ، ونازعنْا هوىً مُسْتخلَصا
واللثمُ أنشأ بالتقـاءِ شفاهنـا صوتاً كما دَحرجتَ في الماءِ الحَصى [2]

وله (في غزل الغلام) :

أجدَّكَ ما ينفـكُّ قلبٌ مُحبَّسٌ عليك وأبصارٌ إليكَ شواخصُ
(طويل)
وطرفُك معتـلٌ وجسمُكَ سالمٌ وصُدغُكَ مَهموزٌ وخَصْرُك ناقص
ولي عَبَراتٌ فوقَ خَدّي رواقصٌ ولي حَسَراتٌ تحتَ ضلعي قَوارِصُ
مزَجتُ دُموعي بالدِّمـاءِ صبابةً فدَمعيَ مَمْزوجٌ ووديَ خالِصُ

---

(١) في ف ٢ : وأعطاني .
(٢) ورد البيت في الدمية : ١٦٨/١ في أثناء موازنة بين ابن كيغلغ وأبيه .

حرف الضاد

قال يَهجو :

فـلانٌ بغضُـهُ فَـرضُ
وحبـلُ ودادِهِ نَقْـضُ
(هزج)
فـلا طُـولٌ ولا طَـوْلٌ
ولا عَـرْضٌ ولا عِـرْضُ

وله (في الشكوى والموعظة) :

والدّهرُ رامٍ ليسَ يأمـنُ عاقلٌ
من قوسه التّوتيرَ مَهْمـا أنْبضا (١)
(كامل)
واحَسْرتـا لـرَداهُ لـولا أنّه
حكـمُ الإلـهِ ولا مَـردّ لما قَضى

وقال يرثي القاضي الهَرَوي :

قاضٍ مَضى لسبيلـهِ لمّا قَضى
ما كانَ أوّلَ مَن قَضى ثمّ انْقَضى
(كامل)
ودهشتُ حتى لستُ أدْري أنّـهُ
ماضٍ قضى أو أنّـه قاضٍ مَضى

---

(١) أنبض : جذب الوتر ليحدث صوتاً .

حرف الظاء

رعـى اللهُ أحبابَنـا الظـاعنينَ وإن ضَيّعوا فيَّ شَرْطَ الحفاظْ
(متقارب)
ولمـا تولّـوا وأحشاؤهـم منَ النـارِ مَملـوءةٌ بالشُّواظْ
فدمـعٌ يفيضُ ونفسٌ تقيـضُ وصبرٌ يغيضُ وصبٌّ يُفاظْ (١)

(١) تقيض : تنشق . يفاظ : يمات . والبيت ساقط من ف ٢ .

حرف العين

(قال في الغزل) :

غَريرةٌ بعدُ لم تَكْعُبْ ودايَتُها [1]
قد علّقتْ فوقَها للعَــوذةِ الوَدَعا
(بسيط)
قد غارَ فياللّحمِ كَعْباها ، وظَنّيَ أنْ
سيَطّلعانِ على مَجرى الوِشاحِ مَعا

وله (في المدح) :

خضَــمٌ سَخــا وهزبــرٌ سَطا
وسيفٌ مَضى وسنــانٌ صَــدَعْ
(متقارب)
تَفــاوتَ إخوانُــهُ والخــوانُ
يَرْفَــعُ هذا ، وهــذا يَضَــعْ

وله أيضا :

ولستُ أستبــدعُ مــا نــابَــني
من خُرُقٍ في فعْلــهِ شائــعْ
(سريع)

(١) الداية : فارسية معربة وهي المربية (الذهبي) .

فالرفــقُ والقــارظُ [1] غابــا معاً
كِلاهُمــا لم يَــكُ بالرّاجِــعْ

وله (في الشكوى والموعظة) :

أهْجــو متــاعي بألــفِ بيتٍ
إذْ رَدَّ بَيْــتي بــلا متاعِ
(مخلع البسيط)
وأضيــع المــالِ مــا تَــلاشى
بالمهــرِ والمهــدِ والرّضــاعِ

(١) من أمثالهم : لا يكون ذلك حتى يؤوب القارظان ، وهما رجلان أحدهما من عنزة والآخر عامر بن تميم بن يقدم ، خرجا ينتحبان القرظ (والقرظ : شجيرة يدبغ به والقارظ مجتنيه) ويجتنيانه ، فلم يرجعا ، فضرب بهما المثل . .
قال أبو ذؤيب :

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ويُنشر في القتلى كليب لوائل

(المستقصى : ٢/٥٨ – اللسان : مادة قرظ)

حرف الفاء

(له في غزل الغلام) :

أَفــدي غزالاً مفرطــاً في الخلافْ
كأنّــهُ بعضُ غصــونِ الخِــلافْ
(سريع)
ظبيٌ غَريــرٌ غرّني حُسنُــــهُ
أخــافُ منهُ (وعليهِ أخافْ) [1]

وقال (في الافتخار) :

أصونُ هُدْب ردائي ليسَ يجذبُــهُ
إلا فتًى يبــذلُ الإنصافَ إن صافى
(بسيط)
ولم يخُنْ قــطُّ إلفٌ في مَوَدَّتــهِ
إلا وجدتُ مــن الألآفِ آلافــا

وقال (في جلسة أُنس) :

وليــلٍ دجوجــيٍّ كــأنَّ صباحَهُ
يهزُّ لــواءً مــائساً فوقَ عَطْفــهِ
(طويل)

---

(١) في ف ٢ : وأخاف عليه .

تَنزَّه سَمْعِي منهُ في صوتِ طائرٍ
شَدا مُشرئبَّ الجيدِ ثانيَ عطْفهِ
فأطعمتْ خلاّني كباباً كعَرْفِهِ
وعاطيتُ ندماني شراباً كظرفهِ[1]

وقال (في غزل الغلام) :

إذا سألوني عن سوادِ عذارِ مَنْ
غَدا لا يُصافيني وظلْتُ أُصافيهِ
(طويل)
أجبتُ : نمالُ المسكِ دبّتْ بوجههِ
فساخَ لِلُطْفِ الجِلدِ أَنملُها فيهِ

وله (في غزل الغلام) :

بالأملِ الكاذبِ والخَوفِ
جعلتَ لي قَلْبينِ في جَوْفي
(سريع)
آملُ قرباً وأخافُ النّوى
فمُهجتي في راحتي[2] أوفي
سعدتُ لو سفْتُ ثرى تُربة
تَسلكُها ، سوفَ ترى سَوْفي

(١) في ف ٢ : كظفره .
(٢) في را : راحة .

قال في بخيل :

قد قفــل البــابَ بقُفــلٍ لــــهُ
من بُخلهِ خَوفــاً على الأرغفَــهْ
(سريع)

وقالَ : إنْ أطعمتُ منهــا امْــرأً
لُبابةً إني كثــيرُ السّفَــهْ

وطــوَّلَ الشاربَ كــي لا تُــرى ،
إذا تَغدّى ، حركاتُ الشّفَــهْ (1)

وكتبَ إلى محمدِ بنِ عبد الله الدمشقيِّ الأنصاري قصيدة (2) (وهي في المديح) ، مطلعُها :

فَرعتُ ذُؤابــةَ المَجــدِ المنيــفِ
بمــا استطرفْتُ من وُدِّ الشريــفِ
(وافر)

ومنها :

وقلتُ وقد سمعتُ بــهِ لصَحْبي :
صلُوا بعُرا الذَّميل عُرا الوَجيفِ (3)

---

(1) من الدمية : ج٢ .
(2) من الدمية : ج٢ .
(3) الذميل : السير اللين ، الوجيف : السير السريع .

فسرنا ننشقُ القَيصومَ وَرداً
ونَحْسو أكؤسَ السّيرِ الذّفيفِ (١)

وليسَ لنا النّديمُ سوى السعالي
وليسَ لنا الغناءُ سوى العَزيفِ (٢)

فلما أنْ أنختُ بهِ رِكابي
غَفرتُ جَرائرَ الزّمنِ العَنيفِ

ولفَّ القُرْبُ بَيْنَيْنا جَميعاً
فنحنُ الآن من بابِ اللّفيفِ (٣)

ومنها :

أقولُ لهُ ، ولم أنفَسْ بنَفْسي (٤)
عليهِ ولا التّليدِ ولا الطّريفِ :

فدىً لكَ ما تُزَرُّ عليهِ قُمْصي
وقُمْصي لا تُزرُّ على سَخيفِ

فإني منكَ في روضٍ أريضٍ
دُللتُ بهِ على خصبٍ وَريفِ (٥)

---

(١) القيصوم : نبات طيب الرائحة من رياحين البر له نورة صفراء . السير الذفيف : الخفيف السريع

(٢) السعالي : مفردها السعلاة وهي أخبث الغيلان ، وقيل هي الأنثى من الغيلان . العزيف : صوت الجن ، وصوت الرمال إذا هبت بها الرياح .

(٣) اللفيف : اللفيف من الكلام ، كل كلمة فيها معتلان أو معتل ومضاعف .

(٤) لم أنفس : لم أضن .

(٥) الأرض الأريضة : الزكية المخيلة للنبت والخير . وهي التي ترب الثرى وتمرح بالنبات . الوريف : ورف الشجر وريفاً : تنعم واهتز ، ورأيت لخضرته بهجة من ريه ونعمته .

ومن زَهَـــراتِ حظِّـــكَ في ربيعٍ
ومن ثَـمَـرَاتِ لفظِـــكَ في خَـرِيفِ

وكـــم عاشرتُ من عُـصَـبٍ ولكنْ
تَـخـذْتُـــكَ من أُلوفهــمُ أَليفــي

ومـــا أنا من رجالـــكَ في القوافي
وأصلُ اللَّعْبِ عرفـــانُ الحَرِيفِ

وأنتَ إذا ركبتَ الصَّعْـــبَ منْهـــا
سَبَقْتَ إلى مَـــداكَ بـــلا رَدِيفِ

ولي حَشَفٌ وبـــي تَطْفيفُ كيلٍ
وها حَشَفي مَعَ الكَيلِ الطَّفيفِ (1)

فإن تَـــرْدُدْ عـــليَّ فرَهْبَتي منْ
وإنْ تُحسنْ إليَّ فـرَغْبـــتي في

---

(١) الحشف من التمر ما لم يندو ، فإذا يبس صلب وفسد . والحشف أردأ التمر . والشطرة مضمنة المثل العربي المشهور : «أحشفاً وسوء كيلة ؟» . التطفيف : البخس في الكيل والوزن ونقص المكيال .

حرف القاف

(قال في المديح مع مطلع غزلي)

(كامل)

ضَرَبوا بمُنْعَرَجِ اللواءِ سرادِقا
فسقاهم جَفْني سحاباً وادِقا [1]

لم أدعُ مُذْ نَزلوا العُذَيْبَ وبارِقا [2]
إلاّ سَقَى اللهُ العُذَيبَ وبارِقا

بَخلوا على عَيني بحُسنِ لقائهم
فظللتُ للنظرِ الخَفيِّ مُسارِقا

إحدى النّوائبِ في الصّبابةِ أنّني
كنتُ الأمينَ فصرتُ فيها سارِقا

ولكَمْ خدودٍ في الخدورِ نواضرٍ
لنواظرِ الحَدَقاتِ لُحْنَ حَدائقا

ما زالتِ العَبَراتُ يمطرُ نَوْؤُها
حتى زَرَعْنَ على الخُدودِ شَقائقا

---

(١) الوارق : الماطر .

(٢) العذيب وبارق : موضعان .

أينَ الفُؤادُ وكـانَ عبدَ وِدادِهم
هلْ نلتُمُ يا قـومِ عَبداً آبقـا ؟

كم قلتُ إذ طلعتْ شموسُ وجوههم
سُبحانَ مَنْ جَعلَ الجُيوبَ مَشارِقا

وأزجُّ قوسِ الحـاجبـينِ وجدْتُـهُ
يَرمي بسهمِ الشفرِ نَحـوي اشِقا

والحسنُ أخرسُ ناطـقٌ بكمالِـهِ
في وجهـهِ أفديـهِ أخرَسَ ناطِقا

خصرٌ يقـولُ العاشقونَ لحُبِّهِ :
يا لَيتَنا كُنـا عليـهِ مَناطقـا

سقياً لليـلِ مـا تُذُوكِرَ عَهْدُهُ
إلا شققتُ من القَميصِ بَنائقـا

لمّا بَدا الكفُّ الخَضيبُ رأيتَـني
جَذْلانَ للعَـنَمِ الخَضيبِ مُرافِقا

عانقتُ بدراً دونَـهُ بـدرُ الدُّجى
أرأيتَ للبـدرِ المُنـيرِ مُعانقـا ؟

ولثمتُ مَبسمَـهُ اللذيـذَ وراقَني
رَشْفُ الرُّضابِ فذقتُ رِيقاً رائِقا

لم يلتمس ماءَ الحياةِ بجَهْدِهِ
لو كانَ ذُو القَرنينِ منـهُ ذائِقا

حتّى استَبَاحَ سَنا الصباحِ حمى الدجى
وابْتَزَّ منــهُ الضّوءُ جُنْحاً غاسِقا

ورأيتُ هامــاتِ الظَّــلامِ كأنّهــا
قد شِبنَ من هَول الصَّباحِ مَفارِقا

أيقنتُ أنَّ الدهرَ يسلبُ ماكسا
ظلمــاً ، ويظهرُ للسُّرورِ عَوائقــا

أَمِنَ الفَساد أذى الكسادِ فلن ترى
إلا نفاقــاً في البريّــةِ نافِقــا

يا نفسُ جُولي القَفرَ واجْتابي الدُّجى
وَهَبي أحاديثَ النُّفوسِ مَخارِقا (١)

فلسوفَ تُسفِــرُ سفرةٌ عن طــائلٍ
ويُوافقُ الأمــلُ القَضــاءَ السابِقا

ما لينُ « مالينٍ » إذا أنــا لم أجدْ
عيشاً غضيضــاً في ذَرَاهُ مُوافقــا

لولا التمسُّكُ بالامــامِ وحبلِــــه
لغَدَوتُ في حَلْقِ المنيّةِ زالِقــا

فارقتُ حضرتَــهُ وعــدتُ مُراجعاً
لمّا بلوتُ من اللئــامِ خَلائقــا

كيفَ التخلُّفُ عن جوادٍ أجتلى
في كــلِّ عضوٍ من نَــداهُ شائقا

---

(١) نقص في المقل .

خفتُ الفَناءَ علـيَّ يـومَ هجرتُهُ
ونزلتُ صحنَ فِنـائيَ المُتَضائقـا

فتركتُ أوطـاني إليـهِ خارجـاً
عَنْها كما قمّصْتَ سَهماً مارِقا [1]

هبـةُ الالـهِ أبو محمـدِ الـذي
راعى مـنَ الخُلُقِ الحَميدِ حقَائقا

أسدى إلي منَ العَطـاءِ جلائـلاً
تذرُ المَعاني في الثّنـاءِ دَقائقـا

تَستَـلُّ هِمتُـهُ العليّـةُ دائبًا
سَيفاً لهامـاتِ الأعـادي فالِقـا

نِعَمٌ تَشُدُّ عـلى العُفـاةِ عُقودَها
وتُعِدُّ أطواقـاً لهـم ومَخانِقـا

ما قَولُـهُ في خـادمٍ كَهلِ الحجى
يلفيهِ في عـددِ السِّنينَ مُراهقـا

خلّى أبـاهُ وقومَـه مُتَرحِّـلاً
عنهم وخلّفَ في الخدورِ عَواتِقا [2]

وغَدا بخدمتِـهِ الشّريفـةِ لاحِقاً
لا كانَ قطُّ بمَـنْ سِواهُ لاحِقا

(١) قمص : أرسل وأطلق .
(٢) العواتق : ج عاتق : الجارية بين الصبا والتعنيس ، لأنها أعتقت من خدمة أبويها ولم يدركها الزوج .

هَل يستحقُّ لدى الامـــامِ المُرْتَجى
عزاً يسكنُ منهُ قلبــاً خافِقا ؟

وكتبَ قصيدةً قافيّةً إلى أبي حفصٍ عمر بن عليٍّ المطّوّعي (١) ، ولم يذكر منها إلا هذا البيت :

حَــــلَّ النَّقـــابَ فَراقَــهُ
ثُمّ (٢) اسْتحــل فِراقَـــهُ
(مجزوء الكامل)

وله (في الموعظة) :

إن فـــاتَـــكَ الشـــرفُ الرفيـ
ـعُ وما استطعتَ بــهِ لِحاقــا
(مجزوء الكامل)
فابْخــلُ بمــائِـكَ أنْ يُرا
قَ وجُدْ بخُبزكَ أنْ يُذاقــا (٣)

وقال في المقطّعات (وهي في غزل الغلام) :

عشقــتُ لشقوتــي رشأ رَشيقــا
رضيتُ بـــهِ منَ الدُّنيــا عَشيقا
(وافر)

(١) هو الحاكم أبو حفص عمر بن علي المطوعي من أهل نيسابور . كان من أصدقاء والد الباخرزي ، والباخرزي كثيراً ما عرض عليه شعره . وله شعر جيد قليل ، ونثر مسجوع مقبول توفي ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م .
(يتيمة الدهر : ٤/٣١١ - دمية القصر : ج ٢)
(٢) في يا وف ١ ول ٢ ، وف ٣ : لما .
(٣) من را : ص ٣١ .

سقيمـاً ناحـلاً طرفـاً وخَصـراً
ثَقيـلاً بـارداً رِدفـاً وريقا

وقال أيضاً (في غزل الغلام) :

أقـولُ والقلـبُ لـهُ وقـدةٌ
يُحْشى الحشا منهـا بمثـلِ الحَريق
(سريع)
يـا رِدْفَـهُ رِقَّ عـلى خَصـرِه
فإنّـهُ حُمِّـلَ مـا لا يُطيـقْ

وقال أيضا (في الغزل) :

لقد ظَلَمَ القمريُّ إذ نـاحَ باكيـاً
وليسَ لهُ من مثلِ ما ذُقْتُهُ ذَوقُ
(طويل)
فها أنا ذو شَوقٍ ولا طَوقَ لي بـهِ
وها هُوَ ذو طوقٍ وليسَ لـهُ شَوقُ

وقال أيضاً (في الغزل) :

فديْتُـكَ جـارَ عـليَّ الفِـراقْ
وحمّلني العِشقُ مـا لا يُطـاقْ !
(متقارب)
وأحرقتَ قلـبي وقد كنـتَ فيـهِ
فكيفَ سلمـتَ مـن الإحـتراق ؟

وقال (في الغزل) :

وحسناء لا جُنْحُ الظّلام اهْتدى لها
ولا نَحْوها ضَوءُ الصّباحِ تَطرّقا
(طويل)
ركبتُ إليها الليلَ والليلُ أدهمٌ
فلم أنصرفْ إلا وقد عادَ أبْلَقا

قال في أصَمّ (يهجوه) :

وأصلخَ (١) في مَنفذَيْ سمعِه
صِمامٌ من الصَّمِ المُطبقِ
(متقارب)
فلو نُفخ الصورُ في عَصرِه
لأفلتَ حيّاً ولم يُصعقِ (٢)

وقال (في العتاب) :

يا لائمي عنّفتَ بي فترفّقِ
ونطقتَ في عرضي فاصغ ِ لمنطقي :
(كامل)
لا تُغلقنَّ السمعَ عن عُذري إذا
نَهنَهتُ سؤّالي بباب ٍ مُغلقِ
فمتى أجودُ ولستُ أملك بُلغَةً ؟
والغصنُ كيفَ يُظِلُّ ما لم يُورِقِ ؟

---

(١) الأصلخ : الأصم الذي لا يسمع شيئاً .
(٢) من الدمية : ج٢ .

وقال أيضاً (في المديح) :

أنتَ الذي أوْليتَني مننـاً
أنا كالحمامِ وهنَّ أطواقي
(كامل)

وتمسّكتْ بعُرا نداكَ يدي
وتماسكتْ بعُلاكَ أرماقي

وبِضاعتي نفقتْ لديكَ وكَمْ
كسدتْ لدى الجُهّالِ أسواقي

فنشرتُ مدحَكَ حسبَ مقدرتي [1]
وعلَكْتُ شُكركَ ملءَ أشْداقي

وله (في غزل الغلام) :

قالوا : الْتحى ومَحا الالهُ جَمالَـهُ
وكَساهُ ثوبَ مذلّةٍ ومَحاقِ
(كامل)

كتبَ الزمانُ على محاسنِ خَدِّهِ :
هَذا جَزاءُ مُعذِّبِ العُشّاقِ [2]

وله (في المديح) :

يروقُكَ بِشْراً وهْوَ جَذْلانُ مثْلَما
تَخافُ شَباهُ [3] وهْوَ غَضبانُ مُحنقُ
(طويل)

---

(١) في ف ٢ : مقداري .

(٢) ورد البيتان في معجم الأدباء : ٣٦/١٣

(٣) الشباة من السيف : قدر ما يقطع به .

كذا السّيف في أطرافهِ الموتُ كامنٌ
وفي متنهِ ضَوءٌ يروقُ ورَوْنَقُ [1]

ورد في الدمية قوله [1] (وهو في الغزل) :

وجهٌ حكى الوصلَ طيباً زانَهُ صُدُغٌ
كأنّه الهَجرُ فوقَ الوصلِ علّقَــهُ

(بسيط)

وقد رأيتُ أعاجيبَ الزمــانِ ومــا
رأيتُ وصلاً يكونُ الهَجْرُ رونَقَهُ

---

(١) ورد البيتان في معجم الأدباء : ٣٦/١٣

(٢) من الدمية : ٦١٠/١ .

حرف الكاف

(قال في مدحِ طغرلبك مع مقدمة غزلية) :

يا مَن طلعتَ طلوعَ الشمسِ من فلكٍ
إن كنتُ يوماً لشمسٍ عابداً ، فلَكِ

(بسيط)

لو أنصفوا وَجْهَكِ المَوْشِيَّ حُلَّتُهُ
لعُطِّلَ الوشْيُ في الدُّنيا فلم يُحَكِ

قد صدتِ قلبي بأصداغٍ مشبكةٍ
صيغَتْ لصَيدِ قلوبِ النّاسِ كالشّبكِ

أصبو إليكِ ولي صَمْتٌ حُرِمتُ به
والصّمتُ للرزقِ منّاعٌ كذاك حُكي

اللهَ فيَّ فستْري فيكِ مُنْهتِكٌ
وكان قبلَكِ سِتري غيرَ مُنْهتِكِ

على شِفاهِكِ دَيْني وهْيَ تُمْطلني
فأبشري بغَريمٍ في الهوى محكِ

فديتُ مَجْناكِ ما أحلى مَذاقَتَهُ !
كأنّهُ ريقُ نحلٍ شيبَ بالمِسكِ

فكم خَلستُ[1] الجَنى منهُ على حَذَرٍ
من قَولِ واشٍ شديدِ اللّذعِ مُؤتفكِ

العفْوَ منكِ فقد وسْوستنِي شَغفاً
حتّى تسلّطَ شَيطاني[2] على مَلَكي

ونمتِ، ليلُكِ مَكَّ[3] الطّرفِ عن دَنِفٍ
باكٍ بطرفٍ غزيرِ الدمعِ غيرِ بكي[4]

فباتَ أضيعَ من لحمٍ على وضَمٍ
وظل أهوَنَ من عظمٍ على ودكِ

ولهانَ جُنَّ فغنّتْه سلاسِلُهُ
يَمشي فتَلهو به الصبيان في السكك

هذي صفاتي وما أخفى عليَّ سوى
دهر بقرع صفاتي مغرمٍ سدِكِ

وسوف أدركُ آمالي ويَجذبُني
بَختي إلى الدرج الأعلى من الدرَكِ

بيُمنِ «ختَلغَ بَلكا» سيِّدِ الوزرا الـ
أميرِ حقاً عميدِ الملك خواجَه بِكِ[5]

ذاكَ الذي امتلكتْني بيضُ أنعُمِهِ
وليسَ يَحظى برقّي غيرُ مُمتلكي

---

(١) في ف ٢ ورا : خلت ، ولعلها كما ذكرنا .

(٢) في را : شيطان .

(٣) الملك : البحث والاستقصاء عن الغريم .

(٤) البكي : قليل الماء .

(٥) خواجه : تقرأ دون واو . بك : بيك .

لولا عقيدةُ إيمـاني لمـا اتّجهـتْ
إلا إليه صـَلاتي لا ولا نسكـي

كأن أخلاقَـه من طيبِ نَفحتِهـا
نشرٌ يجودُ بهِ الروضُ المجُودُ ذكي [1]

في كل ليـلٍ له نـارٌ عـلى علم
شبّتْ لأ شعثَ في الظّلماءِ مُرتبِكِ

جَداهُ [2] مشتركٌ بـينَ الوَرى ولَهُ
من السِّيادةِ حـظٌّ غيرُ مُشـترِكِ

صاغَ الحُـلى للعُـلا أيـامَ دَولتِهِ
حتّى سلكنَ الشّوىمنهنّ في مسكِ [3]

فألبستْهُ ثيـابَ المُلـكِ ضافيـةً
يَدا أبي طالبٍ طُغْرِلْ بِكِ المَلِكِ

ففـازَ منهُ بركـنٍ غيرِ مُنهـدمٍ
عندَ الخطوبِ وحَبلٍ غيرِ مُنْبتِكِ

أقذى عيونَ أعـاديهم حسايكُهُم [4]
كأن أجفانَهم خيطتْ على الحَسَكِ

---

(١) المجود : المسقي بالمطر .
(٢) في را : جدواه .
(٣) الشوى : الجلد والأطراف . المسك : الأسورة والخلاخيل .
(٤) حسايكهم : أحقادهم وعداوتهم ، والمفرد : حسيكة .

مباركٌ وجهُـــهُ في كـــلِّ مُجتَمَعٍ
مُشيّعٌ قلبُــهُ في كــلِّ مُعْــتَركِ
لم يَعْرَ رأسُ قنـاً إلاّ وعمّمَـــهُ
برأسِ ذي أشَرٍ في الغــيّ مُنْهمــكِ
فإنْ عَفا غضّ جفْنَيْ ساكِنٍ وَقِرٍ
وإنْ جَفا جرّ ذيلَ قُلْقُلٍ [1] حَرِكِ
وإنْ تَحلّبَ دَرّ النّقسِ [2] في يدِهِ
فالطِّرسُ دُرْجٌ لدُرٍّ منــهُ مُنسلكِ
وإنْ أفــاضَ على العافــينَ نائلَهُ
أرواهُمُ بغمــامٍ منــهُ مُنْسفكِ
يا مَن إذا طــارَ ممتــاحٌ بساحَتــهِ
تلقّطَ الحبَّ في أمنٍ منَ الشّرَكِ
بك استقلَّ ذبابُ الحصبِ في حَلَكي
وراقَ سَمعي خريرُ الماءِ في بــرَكِ
لمّا أنختُ بَعيري في ذراكَ ضُحىً
ناديتُ : باركَ فيــكَ اللهُ فابْتَركِ
أسبغْ عليَّ سجالَ العُرفِ أرْوَ بهــا
وأعطني عروةَ الاحسانِ أمتسكِ
وخُذْ مُحجّلــةً غراءَ ما اكْتَحلتْ
بمثلها مُقلتــا غــرٍّ ومُحْتنِــكِ

---

(١) القلقل : الخفيف السفر .
(٢) النقس : الحبر .

ولا تظــنَّ سواها مثلَهــا فلَكَمْ
بينَ السِّماكِ إذا مَيَّزتَ والسَّمكِ

شعرٌ تديـرَ (١) بالغَــبراءِ مُنشئــهُ
وقدرُهُ مُعتلٍ في ذرْوةِ الفَلَــكِ

فالطبعُ صائغُ حَلْيٍ مــن سباشكــهِ
وأنتَ ناقدُ تــبرٍ منــهُ مُنْسبــكِ

وله (في غزل الغلام) :

فترتْ لواحظُكَ المـراضُ ولم تـَزَلْ
تلكَ الفَـواتــرُ بالقُلوبِ فَواتكــا

(كامل)

فالآنَ أجهرُ بالعتابِ فكَــم وكَمْ
أسبلتُ أذيــالي عــلى هَفَواتكــا

وإذا التفتَ إلى هــواكَ أفــادَنــي
بردَ السُّلُوِّ تذكُــري جفواتكــا

يا مَنْ وَفاتي في فَــواتِ وِصالــهِ
فُتَّ الحسانَ فَواتِ (٢) قبلَ فَواتِكا

---

(١) تدير بالغبراء : سكن الأرض .

(٢) من المواتاة أي الموافقة عليه .

وقال (في الشكوى) :

تَجاوزتَ حدَّ الظلمِ يا زُحلُ الذي
أَبَيْتُكَ جاراً لي وحقّاً أبيتكا
(طويل)
وهبْكَ شأمتَ الجدْيَ[1] إذْ كانَ طالعي
فخُذْ حَذَراً من هدمهِ فهوَ بَيْتُكا

وله (في الفحش) :

يا قومُ إني رجلٌ فاضِلٌ
وليسَ في فضلِيَ منْ شكٌّ
(سريع)
أهوى كؤوسَ الرّاحِ مملوءةً
وأشتهي الإيلاجَ في التّركِ
وأقضُمُ القُنْدَ ولا أشتكي
وآكلُ التّمرَ ولا أبكي[2]

---

(١) الجدي : برج .
(٢) من الدمية : ٢ /٨٢٩ . القند (بالضم) : الخصية الكبيرة ، و (بالفتح) : السكر .

حرف اللام

(قال يمدح نظام الملك) :

يُذكّرني الحِمــى عهدَ الوصــالِ
وأيامَ الشبابِ ومَن بِهــا لــي ؟
(وافر)

وسلمى والسّلامــةَ من هواهــا
ونعمــى والنعــيمَ بــلا زوالِ

وهَصري غُصــنَ ذابلةِ التثنّي
وقَطْفي وردَ نــاضِرةِ الجَمالِ

ورَشفي حيــثُ يبتسمُ الأقاحي
وشَمّي حيثُ تَنْعجنُ الغَــوالي

وتَركي الزُّهــد في راحٍ شمولٍ
ورَفْضي النُّسكَ في ريحٍ شمالِ

وحبّي شربَ يــاقوتٍ مُــذابٍ
يَرضُّ المــزجُ فيهِ حصى اللآلــي

وهزّي العطفَ في غَفَــلاتِ عيشٍ
وريقِ الأيكِ مَمْطــورِ الظِّــلالِ

فها أنــا من لُبابِ العُمرِ أشجــى
إذا هجتْ خواطرُهــا بيــالــي
وأجتلبُ الشجونَ وأينَ صَــبري ؟
وأحتلبُ الشؤونَ وكيفَ حــالي ؟
وتَلوي مُهجــتي واشْنف[1] لَوني
وتَدمَــى مُقلتي وسَلِ الليالــي
فخَــدّي الزعفــرانُ ولا أُحاشي
ودَمعــي الأرجوانُ ولا أُبــالي
أحاكي الوردَ ذا الوجهين يُحذَى
معاً في الصبغتــينِ على مثــالِ
وكيفَ يُرَدُّ لي مــا فــاتَ منّــي
وردُّ الغانيــاتِ منَ المُحــالِ ؟
ومــا للمُفلسينَ سوى التّمنّـــي
ومــا للنّائمينَ سِوى الخَيـــالِ
ذَوى الشَّعرُ البنفسجُ في عِـــذاري
وزاحَمَـــهُ ثَغــامُ الاكتهــال[2]
وكدّ تفاوتُ الخطّــينِ قَلــبي
وخــاطَ علي أثوابَ الخَبــالِ

---

(١) هي فعل أمر .
(٢) الثغام : واحدته ثغامة ، وهو شجر أبيض الزهر ينبت في الجبل . وهو كناية عن الشيخوخة

فخيطٌ دب بدءُ الشيبِ فيـــهِ
دبيبَ النارِ في طـــرفِ الذبــالِ

وآخرُ فــاحمٌ كــالفَحم ِجــانِ
عــلى جارٍ بحــرٌ النــارِ صــالِ

يُحاذرُ أنْ يصــابَ وغيرُ بــدعٍ
لجــارِ النــارِ علوى الإشتعــالِ

فذي ظلمُ الشبابِ على صَداهــا [٢]
ضيــاءُ الشيبِ حودِثَ بالصقالِ

تُرى تلــكَ العهود تعودُ يومــاً ؟
وحال الوصلِ يلقحُ عن حيالِ [٣]

وينصَى البــينُ عــادَتَهُ وتَنْجــو
منَ الأقتــابِ أسنمــةُ الجمــالِ

فتُعْمَرُ باللّوى تلــكَ المَغاني
وتَرجعُ بالحمى تلــكَ الليالي

رَخيمُ الــدلّ مكسالُ التّهــادي
طويلُ الذيــلِ صَرارُ النّعالِ

يرقّــقُ طَبعيَ المأيــوسَ عنــهُ
ويشحذُ غَرْبَــهُ بعــدَ الكــلالِ

فينشطُ لاختراعِ الشعرِ عقــلي
ويَنشطني البَيانُ منَ العِقــالِ

---

(٢) على صدئها .

(٣) ج حائل وهي الأنثى التي لا تحمل .

وأطنِبُ في ثنـــاءِ أبـــي عـــليٍّ
نظـــامِ المـــلك نَظّامِ المعـــالي

فـــتىً كالليثِ مَشبوبُ المـــآتي
فتىً كالقرمِ محذورُ الصِّيالِ

وتسخَر بكفِّهُ والبحرُ فيهـــا
بِمَن شامَ السّحائبَ للنّـــوالِ

ويُعلى كعبَهُ عِرضٌ مَصـــونٌ
مُعَوَّلُـــهُ عـــلى مـــالٍ مُـــذالِ

أعارَ عَواطِـــلَ الآدابِ(٣) عيناً
تُراعيهـــا فهُـــن بـــهِ حَوالِ

وعطّرَ شعرَ صدغَيْها بمِسْكٍ
ونقّـــطَ وردَ خدَّيْهـــا بخـــالِ

وبَوَّءَ وفدَهـــا كنفـــاً رَحيبـــاً
مرودَ العُشبِ مَـــورودَ الـــزُّلالِ

حَراماً مثـــلَ بيتِ اللهِ يَشْـــدو
بسحرٍ في مناقبِـــهِ حَـــلالِ

يُسفُّ بـــهِ تواضُعُـــه فتَدْنو
مَقاطِعُـــهُ على بعـــدِ المنَـــالِ

ويُظْهِرُ نطقُـــهُ إعجـــازَ عيسى
بردِّ الروحِ في الرِّممِ البَوالي

---

(٣) في ف ٢ : الأدب .

وأهداف الصوابِ مُغَربلاتٌ
بأقلامٍ لهُ مثلَ النِّبالِ
يُفوِّقُها فلا تُخطي وتَمضي
مضاءَ القَعْضَبيّةِ[1] في العَوالي
بخطٍّ إثْمديٍّ اللونِ يَشْفي
عيونَ الرُّمْدِ عندَ الاكتِحالِ
فمن دالٍ تُصاغُ على اعتدالٍ
ومن ذالٍ تصانُ عنِ ابتِذالِ
وليس تحسُّ[2] منه العينُ عَيباً
سوى المحذورِ من عينِ الكَمالِ
تُساقُ إلى النّبيِّ بهِ صَلاةٌ
وتُعرفُ فيهِ قُدرةُ ذي الجَلالِ
ويثبتُ ركنُهُ في كلِّ خَطبٍ
تزَلزلُ منهُ أركانُ الجِبالِ
وما شَربَ الطّلا إلا استَراحتْ
مسامعُهُ إلى نَغَمِ السُّؤالِ
فكأسٌ في اليَمينِ يَميلُ منْها
إلى طربٍ وكيسٌ في الشمالِ
وإنْ برقَتْ غزالةُ وجْنتيْهِ
حسبتَ الشمسَ ناظرةَ الغزالِ

(١) القعضبية : الأسنة المنسوبة إلى « قعضب » ، وهو رجل كان يصنع الأسنة (حاشية : ح)
(٢) في ف ٢ : تحسن .

ويذهلُ عــن نفائسهِ بنفــسٍ
تَرى الذكرَ المخلّدَ خيرَ مــالِ

رماهــا بالعراءِ كمــا تَجافَتْ
عن البيضاتِ حاضنــةُ الرِّئــالِ

أمَــولانــا خدمتُــك غــيرَ وانٍ
وألْتُ إلى جَنابِــكَ غــيرَ آلِ

وجادَ رياضَ مَجدِكَ مِنَ ثَنائي
حياً يَنْهــلُّ مُنحلَّ العَــزالي (١)

فكم أنشدتُ بــينَ يديْــكَ شِعري
فلم يَخجــل مَقامي من مَقــالي

ولي في صَنْعَتي بُرهــانُ مــوسى
وعنــدَ سوايَ تزويــرُ الخيــالِ

وكم فحصــتْ يدُ الأيّــامِ عَنّي
كأيْدي الخيلِ أبصرتِ المَخالي

فلذتُ بيــابِ دارِكَ مُستجــيراً
مُخلّــى السربِ متّسعَ المَجالِ

ونلتُ لديْــكَ رفعاً في مَحلّي
تُناقضُــهُ بوضعٍ في رِحــالي

---

(١) العزالي : مفردها العزلاء : مصب الماء من القربة ونحوها . يقال : « أنزلت السماء عزاليها » اشارة إلى شدة وقع المطر .

فعِشْ ما شِئتَ مَقْهورَ الأعـادي
ودُمْ ما شِئتَ منصورَ الموالـي

وخُذ في مجلسِ الأنسِ المُهنّـا
هلالاً في هـلالٍ من هِـلالٍ [1]

وقال (في المدح مع مطلع غزلي) :

أراكَ مُستعجـلاً يا حاديَ الإبـلِ
فاصبرو إن خُلِقَ الانسانُ من عَجَلِ
(بسيط)

واقرَ السلامَ عـلى غَمرٍ تحـلُّ بهِ
من ماءِ عَبْني ولا تقرأ على الوشَلِ [2]

وإن نظرتَ إلى العيسِ التي قَلقتْ
للظّاعنينَ فلا تَسكن إلى عَـذَلِ [3]

أجني وأحتالُ في تَزويـرِ معـذرةٍ
والعجزُ للمرءِ ليسَ العجزُ للحيَلِ [4]

وقفتُ والشوقُ يبليني على طللٍ
كأنّني طَللٌ بـالٍ على جملِ

---

(١) الهلال الأول : الكأس ، والثاني : الغلام الجميل والتقدير : في يد هلال ، والثالث : قبيلة هوازن (حاشية : ح) ولعل الأول الخمرة والأخير الساقي .

(٢) الوشل : القليل من الدمع .

(٣) العذل : الملامة .

(٤) مأخوذ من قول الأكثم الصيفي : « المرء يعجز لا المحالة » .

سرّحتُ في جوِّها[1] الأنفاسَ فالتقطت
نسيمَ ريّـا وأهدتْـهُ إلى علَـلي

أرض مكرمـة لم يـؤذِ تُربتَهـا
إلاّ تَسَحّبُ أذيـالِ منَ الحلـلِ

شتّى اللغـاتِ فقُلْ في هـاتفٍ غردٍ
أو صاهلٍ جَرِسٍ أو باغمٍ غـزِلِ

ما زالَ مِنها قلوبُ النـاسِ عاثرةً
من لطخِ غاليةِ الأصداغِ في وَحَلِ

شِيدتْ عليها قبابُ الحـيِّ فاعتقدتْ
أن البقاعَ لها قسطٌ مـنَ الـدُّولِ

إذا الغبارُ مـنَ الفُرسانِ سارَ بِهـا
رشّتْهُ عشاقُهـا الباكـونَ بالمُقَلِ

دار التي حُلِّيتْ بالحُسنِ عاطلـة
فوسْوسَ الحليُ من غيظٍ عـلى العطلِ

بيضاء مُرهفة سُلّـتْ على كبدي
وأُغمِدَتْ من سُجوفِ الخزِّ في كِلَلِ

كالظبي لولا اعتـلالٌ في نواظرِها
والظبيُ لا يشتكي من عارضِ العِلَلِ[2]

---

(١) في ف ٢ : وجدها .

(٢) في ف ٢ : العلل .

وقد يقالُ لمصْحاحِ الرِّجالِ [1] به
داءُ الظباء ، كذا يَرْوونَ في المثَلِ

شفاهُها [2] كيفَ لا تَحلو وقد خزَنت
ذخيرةَ النحـــلِ في أُنقوعةِ العَسلِ

ينالُ مَن يَشتهي مـــاءَ الحياة بهـــا
ما كان مِن قَبلُ ذو القَرنينِ لم ينَلِ

كم طافَ بي طيفُها والأفقُ مُسْتَتِرٌ
بذيلِ سِجفٍ منَ الظلماءِ مُنْسدِلِ

أنّى تيسّرَ مَسرَاهـــا وقد رسفَتْ
من الذوائبِ طولَ الليلِ في شَكَلِ

وكيف خفَّتْ إلى المُشتاق نهضتُها
والثِّقلُ يُقعدُها من جانبِ الكَفَلِ

تأوي إلى حُفُـــرةِ الكُدْريِّ [3] آونةً
وتارةً تَرتقي في سُلّـــم الحيَـــلِ

لمّا أحسّتْ بأسفارِ النّـــوى ونأتْ
عنّي بِحرٍّ حشاً يُخفيهِ بـــردُ حُلِي

يا حبّذا هو من ضيفٍ وهبـــتُ له
سمعي وعَيْني إبـــدالاً من النـــزلِ

---

(1) في ف ٢ : الرجاء .
(2) في ف ٢ : شفاها .
(3) الكدري : ضرب من القطا غبر الألوان رقش الظهور صفر الحلوق .

وأزعجتْها دواعي البَـــينِ وانكمشتْ
تَسري وفي مُقلتيهـــا فتْرةُ الكسَلِ
فرشت خدّي لِـمَـمْشاها وقلتُ لها :
أخشى عليك الطريقَ الوعرَ فانتعلِي
سَقياً لها ولركب رُزَّحٍ نَفَضـــوا
بساقَيْها نُطوعَ الأينُقِ الذُلُـــلِ (١)
جابُوا الفلاةَ وأغرتْهم بهـــا هِـمَمٌ
خُلقْنَ كَلا على الأسفـــارِ والرِّحَلِ
فجـــاوزُوا كُنُسَ آرامٍ يُحصِّنُها
ضراغمُ الروعِ في غابِ القَنا الذُّبُلِ
من بعدِ ما رَكبوا مُلْـــكَ المَطيّةِ في
بحرِ السّرابِ وحثُّوهـــا بلا مَهَلِ
أعجِبْ بفُلكٍ لها روحٌ يغرِّقُهـــا
مخاضة الآلِ في مـــاءٍ بلا بَلَـــلِ
والجَدُّ نُهزةُ ذي جدٍّ يطيرُ إلى الْ
أكوارِ عندَ وقوعِ الحادثِ الجَلَلِ
يَغشى الفَلا والفَيافي والمطيُّ لهـــا
ضربانِ من هـَزَجٍ فيهـــا ومن رَمَلِ

---

(٧) الرزح : مفردها الرازح المهزول الضعيف . النطوع : بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس . الأينق : مفردها الناقة . الذلل : مفردها الذلول ، وهو البعير سهل القياد .

حتى تُقَرِّبَ أطنابَ الخيامِ إلى
مَنْجى اللّهيفِ[1] وملجا الخائفِ الوجلِ

فتى محمد الراوي المكارمَ مِن
عيسى أبي الحسنِ الشيخِ العَميدِ علي

فمن زمامٍ إلى مغناهُ مُنعطفٍ
ومن عنانٍ إلى مأواهُ مُنْفتِلِ

آثارُه نسختْ أخبارَ مَن سَلفوا
نسخَ الشّريعةِ للأديانِ والمِلَلِ

يُولي الجميلَ وصرفُ الدهرِ يقبضُ مِن
يَديْهِ والفحلُ يَحمي وهو في العُقَلِ

تصرّفتْ سائلوهُ في مَواهبِهِ
تصرّفَ النفرِ الغازينَ في النفَلِ

أردتُ أُحصي ثناياهُ فغالطَني
وقالَ : أَحصِ ثناءَ الرائحِ[2] الزجِلِ

كذا ابنُ عمرانَ نادى ربَّهُ : أرِني
أنظرْ إليك[3] ، فقالَ : انظر إلى الجبلِ

إن خط خاطَ على قرطاسِه حُللاً
يُهدي بهِ الوشيَ للأحياءِ والحِللِ

---

(١) اللهيف : الحزين المتحسر .
(٢) في ف ٢ : الريح .
(٣) ابن عمران يعني موسى ، وتمام الآية المقتبسة : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرني أنظر اليك ، قال : لن تراني ، ولكن أنظر إلى الجبل ... » (الاعراف ٧ / ١٤٣ :)

وإن ترسّلَ أدّى سحرُهُ خدَعـاً
يُصفي إليهن سمعُ الأعْصَمِ الوعِلِ
وإن تكلّمَ زلّ [1] الدرُّ عن فمِه
في حُجرِه وهو معصومٌ عن الزلَلِ
وإن تقلّدَ من ذي إمـرةٍ عمـلاً
وجدتَهُ علمـاً في ذلـك العمَلِ
وإن تفحّصَ أحوالَ النّجومِ درى
ما حُم من أجَلٍ في الغَيبِ أو أمَلِ
قالوا : أتشكرُ نعماهُ ؟ فقلتُ : أجلْ
لو مُد لي طوَلٌ مُرخىً منَ الأجَلِ
أنامَني تحت ظلّ الأمْنِ إذ نتقَـتْ
من فوقِ رأسي جبالُ الخَوفِ كالظُّللِ
وما نسيتُ ولا أنسى اعتصاميَ مـن
جواره بعُرا الأسبـابِ والوُصَـلِ
إذا التقيتُ بهِ في موقفٍ شرِقَـتْ
منه الشعابُ بسيلِ الخَيلِ والخولِ
ولم أكنْ عالمـاً قبلَ الحلـولِ بهِ
أنّي أرى رجلاً في بُردَتَيْ رَجُلِ
يا ضائراً نافعاً إن ثـارَ هائجُـهُ
أسالَ مهجةَ أقوامٍ على الأسَلِ [2]

(١) في را : زال .
(٢) الأسل : نبات الواحدة بهاء ، وهي الرماح والنبل .

يُذيقُهم تـارةً من خُلقهِ عَسَلاً
حلواً وطوراً يديفُ[1] السمَّ في العَسَلِ

خذْها أبـا حَسَنٍ غـرّاءَ فائقـةً
وَلَتْ[2] وجوهَ الملوكِ الصِّيدِ من قبلي

أكثرتُ فيهـا ولم أهجرْ بلاغتَـهُ
وليسَ كثرةُ تكثـيري من الفَشَلِ

إذا تمنّتْ سِواهـا أنْ تُضاهِيهَا
خابَت وما النَّجَلُ الموْموقُ كالحوَلِ[3]

أفادَها خاطري بـينَ الورى خطراً
وصاغَها خَلَدي من غيرِ مـا خَلَلِ

يَحلو بهـا فمُ راويهـا فتحسبُهُ
صباً ترشّفَ ظلمَ الواضِحِ الرمِلِ

وينشقُ الوردَ منهـا كـلُّ منغمسٍ
في اللهوِ نَشوانَ في ظلِّ الصبا جذلِ

ورب شِعرٍ كريـهٍ عندَ ذائقـه
كأنّهُ شعـرةٌ في لقمـةِ الخَجِلِ

---

(١) يديف : يخلط ، والمصدر « الدوف » .

(٢) ولت : دنت من .

(٣) النجل : (بفتح الجيم) اتساع العين . الموموق : المحبوب . الحول : انحراف العين عن مركزها .

وله أيضاً (في مديح نظام الملك) :

بعدتَ وما حكمُ البِعـادِ بعادلِ
أما مِن نصيبٍ فيك غيرُ البعادِ لي ؟
(طويل)

طوى خالَكَ المسكيَّ عنّي وخدَّكَ الـ
جميلَ غداةَ الجزعِ وَخْدُ الحمائلِ [1]

وأسقطْتَـني لمـّا ظننتُكَ واصلاً
كأنّيَ حرفُ الراءِ في لفظِ واصلِ [2]

وأوحَشَني ربعٌ لأهلِكَ مُقفرٌ
فلذتُ بقلبٍ من جوى الشوقِ آهِلِ

وغادرتَ عَيْني كالغديرِ بطلعةٍ
هِيَ الروضُ غِبَّ السارياتِ [3] الهواطلِ

فكنْ جامعاً بينَ الغَديرِ وروْضةٍ
ليخضرَّ لي عَيْشي وأحظى بطائلِ

ومَن لي بأنْ يخضرَّ عيشي والنّوى
دُوَيهةٌ تصفرُّ منها أنامِلي [4]

---

(١) الوخد : نوع من المشي السريع . الحمائل : مفردها الحمالة وهي علاقة السيف .

(٢) كان واصل بن عطاء يتحاشى حرف الراء في كلامه للثغة بلسانه .

(٣) الساريات : السحب تأتي ليلا .

(٤) تضمين لقول الشاعر :

وكل أناس سوف تدخل بينهم   دويهية تصفر منها الأنامل

أسرَّكَ مني أنَّ هجـركَ مُدنفـي
وغرَّك مني أنَّ حبـكَ قاتِلي ؟ [1]

بحسبِكَ أنَّ البَـينَ راشَ نبالَـه
وفوَّقَها نَحوي فأصمَتْ مقاتلي

وخوَّفني مـاءٌ منَ العـينِ نـازلٌ
عمىً هو من ماءٍ إلى العـينِ نـازلِ

وخطبٌ سمينٌ مثلُ رِدفِكَ [2] ذقتُهُ
بجسمٍ نحيفٍ مثلِ خَصرِكَ ناحـلِ

فهبني خِـلالاً ثمَّ هبـني تَداخُلاً
خلالَ ثناياكَ العـذابِ المناهـلِ

ومُذ أعلقتْني [3] الأربعونَ حِبالَها
تراءَتْ لعيني الأرضُ كِفـّةَ حابِلِ

وما شَعَراتي البيضُ إلا مشاعـلٌ
ومِن نارِ قلبي نورُ تلـك المشاعلِ

وما الشيبُ إلا شائبُ الصّفوِ بالقَذى
ولا وخطُـه إلا نذيـرُ الغَوائلِ

يردُّ قناة القـدِّ قـوساً ويَنتضي
على الوفَراتِ السُّودِ بيضُ المَناصِلِ

---

(١) ينظر إلى بيت امرىء القيس :
أغرك مـني أن حبك قـاتلي   وأنك مهما تأمري القلب يفعل ؟

(٢) في را : ردف .

(٣) في ف ٢ : أعتقتني .

ولولا حَصادُ العُمرِ لم تَـكُ تَنْثَني
لدى الكِبرِ القاماتُ مثلَ المناجلِ

وغيم شبابٍ جادَ رَوضَ مسرّتي
فزالَ وفعلُ الغيمِ ليسَ بزائلِ

ففي مَقلتي وَدْقٌ صَدوقٌ بفَيضهِ
وفي عارضي برقٌ كذوبُ المَخائلِ

سقى اللهُ أيامَ الصِّبا فهي حقّها
لبان ضروعٍ للنعيمِ حَوافلِ

وطرّب أذْنَيْهـا بنغمـةِ مَعْبَدٍ
وحرّكَ عِطْفَيْهـا بخَمرةِ بابلِ

وعشّبَ مَرْعاها كساحةِ مُجْتَدٍ
حبَتْهُ يدُ الشّيخ الأجلِّ بنائلِ

وليسَ نظامُ الملكِ إلاّ سحابَةٌ
يشيمُ حَياها كلُّ حافٍ وناعِلِ

فكالبحرِ إلاّ أنّهُ غيرُ آسنٍ
وكالبدرِ إلا أنّهُ غيرُ آفلِ

ذَراهُ ربيعٌ للرجاءِ إذا شَتا
وفيهِ لقاحٌ للأماني الحَوافلِ

إذا الركبُ زمُّوا عيسَهم عن فِنائهِ
وشَدُّوا قُتودَ النّاجياتِ المَراقِلِ (١)

---

(٢) النوق المراقل : المسرعة .

رأيت العِيابَ البجرَ ينشرْنَ شُكْرَهُ
وإنْ كانَ تَشكوهُ ظُهورُ الرّواحِلِ [1]

فأوْهامُهم من مَدحِـــهِ في دقــائقٍ
وأحكامُهم من مَنْحِـــهِ في جَلائِلِ

وأكرمُ شيءٍ عندَهُ صوتُ سائِـــلٍ
وأهْونُ شيءٍ عندَهُ قَـــوْلُ عاذِلِ

هو الحسَنُ المَوْصوفُ بالحُسنِ فِعلُهُ
نَدي الكفِّ طلقُ الوجْهِ لدْنُ الشّمائِلِ

أشمُّ طويل البـــاع مستغزر اللّهــى
أغرّ عريض الجــاه جمُّ الفضائـــل

فتىً أنستْ منهُ الوِزارَةُ رُشْدَهـــا
إذِ استَودعتْهُ المهد أيدي القوابل

توسّدَ حجرَ الأكرمينَ أولي النُّهى .
وألقَم ثديَ المُحصَنَـــاتِ الغَوافِلِ

فجاءَ كمـــا يلفـــي وزرُ قميصِـــهِ
على مُستقِلٍّ بالمَعالي حُلاحِلِ [2]

لهُ اللهُ من قَرمٍ إلى المجدِ سابـــقٍ
وبالخيرِ أمّارٍ وللمَيرِ [3] بـــاذِلِ

---

(١) العياب : الصدور والقلوب تشبيهاً لها بعياب الثياب . البجر : الممتلئة .
(٢) الحلاحل : الشريف الكريم .
(٣) المير : الطعام .

ولِلملْكِ مِعوانٌ وللمُلكِ حارِسٌ
وللدّرِّ حَلاّبٌ ولِلنُّصحِ ناخِلِ
إذا خطَّ كفَّ الوَشْيِ فَضلةَ ذَيْلِهِ
حَياءً وغضَّ الجفْنَ نَورُ الخَمائلِ
وإنْ [1] سلَّ صمصامَ الفَصاحةِ ناطقاً
تحيّرتَ في تَطبيقِهِ للمَفاصِلِ
به اخْضرَّ عُودُ الدّهرِ واهتزَّ نَبْتُهُ
ودُلَّ على مَقْصوده كلُّ فاضِلِ
أذُمُّ عليهِ الدّهرَ [2] إذ حلَّ بَرْكُهُ
عليَّ وحَسّاني كُؤوسَ البَلابِلِ
وزَلزلَ رُكني فانهدمْتُ لهدِّهِ
وقد هدَّمَ الأركانَ هدُّ الزّلازِلِ
فطارَتْ عَصافيري وشالَتْ نَعائمي
وهاجَتْ شَياطيني [3] وفارَتْ مَراجلي [4]
وكيفَ أرى نفسي مَداسَ [5] مناسِمٍ
تُطامِنُ منّي أو مُناخَ كَلاكِلِ ؟

---

(١) في ف ٢ : فان .

(٢) طلب الدهر الأمان منه . بركه : صدره .

(٣) في ف ٢ : شياطين .

(٤) كذا في الأصل ولعلها : أباجلي بمعنى عروقي الغليظة .

(٥) في ف ٢ : مدارس .

وخَلفيَ أولادٌ وخلفــي رائــثٌ
على عاجِزات النهض حُمر الحواصل[1]

وقد أطمعتْني منــهُ قُدْمَةُ خِدْمَتي
ودعْوى انتماءٍ أكّدَتْ بالــدّلائل

ولي أملٌ غضٌ الشبــابِ طَريُّــهُ
وذاكَ لشيبٍ في نَواصي وسائــلي

وصحبــةُ أيامٍ مضَتْ وكأنّمــا
هواجِرُها[2] تُكْسى ظِلال َالأصائِلِ

ليالٍ لبِسْناهــا ومِسْنا تَجمُّلاً
بِهــا فوجدنْاها رقاقَ الغَــلائِلِ

وكــم لي فيــهِ من سَوارٍ سوائِرٍ
حوالٍ عــلى الأحوالِ غــيرِ عَواطِلِ

قوافٍ كــأني لاعبٌ من نَسيبِهــا
بعطشانةِ الزنّــارِ ريّا الخلاخِلِ [3]

مُغرّرةٌ في كــلِّ نــادٍ رُواتُهــا
مُصنّجَــةٌ في كــلِ وادٍ جَلاجلي

---

(١) لم يتضح لنا المعنى ، ولعلها روائث .
والروائث : النسوة المتخلفات في البيت لمراعاة الأطفال الذين هم عاجزون عن النهوض
وحمر الحواصل : الفراخ الصغيرة .
(٢) في ف ٢ : جواهرها .
(٣) في ف ٢ : الخلال .

وله أيضاً (في الحكمة) :

إن طلبتَ الإنجابَ فانكِحْ غَريباً
وإلى الأقربينَ لا تتَوسَّلْ
(خفيف)
فأشفُّ الثمارِ طيباً وحُسناً
ثَمرٌ غصنُهُ غريبٌ مُوَصَّلْ

وقال (في الهجاء والشماتة) :

لم يبكِ مَخلوقٌ لمقتلِ أحمدٍ
لا غَرْوَ منهُ فذاكَ أحمدُ مَقْتَلِ
(كامل)
أظهرتُ بعدَ مماتِهِ مَقْتي لَهُ
إذْ كانَ يُضمرُ في الحياةِ المَقْتَ لي

وقال (في الشكوى) :

كم شامتٍ حينَ يَلقى مُهجتي قُبضتْ
يقولُ : أرغمتِ الأيامُ أنفَ علي
(بسيط)
لولا منافعُ للعافينَ في كَنَفي
لكانَ قربُ جوارِ اللهِ أنفعَ لي

قال يعودُ أبا المحاسنِ اسماعيلَ بنَ حيدَرٍ العَلَويَّ [1] :

---

(٤) تعريف الممدوح والقطعة من الدمية : ١/٤١٨ .

عجّــلَ اللهُ بــرءَ اسْماعيــلا
وجَلاهُ الشِّفاءُ عضباً [1] ثَقيــلا
(خفيف)

لا يَرُوعَنّــهُ الذُّبــولُ فقِدْمــاً
قد حَمِدْنــا منَ القَناةِ الذُّبولا

ونَسيمُ الرِّيــاضِ لا يـكتسي الصِّحْـ
ـحَةَ إلاّ بأنْ يهبَّ عَليلا

وقال يمدحُ أبا الفضلِ اسماعيلَ العَبديلي :

حَوى أبــو الفضلِ مــا كنَوْهُ بِـهِ
فالفضــلُ في الانتسابِ عَبْديلي
(منسرح)

أرى لــهُ منْ لــزومِ طــاعتِــهِ
عليَّ مــا لا يَراهُ عَبْــدي لــي [2]

وله (في الغزل) :

حَبيبي مُعــرضٌ عنّي مُــولٍ
يباعــدني عــلى قرب المحــلّ
(وافر)

أرى نــاراً وبــي بــردٌ شَديــدٌ
ولكنْ لا سبيلَ إلى التّصلّي [3]

(١) العضب : السيف .
(٢) الدمية : ١/٤٨٤ .
(٣) ورد في حاشية ح : « هذا كقول الآخر : أرى وما ربي عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود »

وله أيضاً (في غزل الغلام) :

يا صاحبيَّ سَلا فُؤادي : هل سَلا
عمّن كلفْتُ بحبِّه ؟ ليجيبَ ، لا ؟
(كامل)
يا ربِّ إن يـكُ لا يجـودُ بسلوةٍ
تَحيا بِهـا نفسُ المَشوقِ المُبْتلى
فانفِ الحَلاوةَ عن مجاجَةِ ريقِـه
واؤمُرْ بنفسجَ صُدغِـهِ أنْ يَذْبُلا

وله (في الشكوى) :

خلّفتُ[1] خلَفي ضيعةً ضاعَتْ سوى
دِمَنٍ تُعَرِّضُها العوارضُ للبِـلى
(كامل)
ما إنْ تيسّرَ لي دخـولُ رِباعِها
إلاّ تذكرتُ الدَّخولَ فحَوْمَلا[2]

وقال (في خداش) :

مضى خـداشٌ وانقضى يومُـهُ
فانْعزلَ المجـدُ بـه وانْخـزَلْ[3]
(سريع)

---

(١) في ف٢ : خلف .
(٢) موضعان ذكرا في معلقة امرىء القيس .
(٣) في را : وانخذل ، انخزل : انقطع .

فأصبحَ الآنَ كــأنْ لــم يكُـــنْ
وكانَ من قبلُ كــأنْ لم يَــزَلْ

وله (في الشكوى) :

قد أسبلتْ راحــةُ المَنايــــا
دونَ خيــارِ الوَرى حِجــالا
(مخلع البسيط)
طالَــتْ إليهــم يــدُ التّفانــي
فمــا لنــا لا نَــرى رِجــالا ؟

وله (في الشكوى) :

هَجْوُ الخَواريّ عندَنــا دُولَــهْ
والذَّمُّ من عِرضه قضى سُؤْلَــــهْ
(منسرح)
أخطــأتِ النّحوَ عِرسُهُ فغَــدَتَ
مرفوعةَ الرِّجــلِ وهْيَ مَفْعولَــهْ

وله من قصيدةٍ أولُها :

هَبّتْ عليَّ صَبــاً تكــادُ تَقولُ :
إنّي إليكَ منَ الحَبيبِ رَسولُ
(كامل)
سَكْرى تَجشّمتِ الرُّبــا لِتَزورَني
مِن عِلّتي وهُبوبُهــا تَعْليلُ [1]

(١) البيتان من معجم الأدباء : ٣٩/١٣

ومن شعرهِ (في الموعظة) :

حَمْلُ العَصا للمُبْتلى
بِالشّيبِ عُنْوانُ البِلى
(مجزوء الكامل)
وُصِفَ المُسافرُ أنّهُ
ألقى العَصا كي يَنزِلا
فَعَلى القِياسِ سَبيلُ مَنْ
حَمَلَ العَصا أنْ يَرْحَلا [1]

قال الباخرزي يمدحُ الكُنْدريَّ لمّا حلقَ لِحْيَتهُ وجبَّ مذاكيرَهُ ليخلصَ من إرجافِ الناس :

طابَ العَميدُ الكندريُّ شَمائِلا
حتى اسْتَعارَ الروضُ مِنْهُ مَخائِلا
(كامل)
يُدْعى أبا نصرٍ ، وصنعُ اللهِ نا
صِرُهُ ، أَخَيَّم أمْ توجّهَ راحِلا
طمِحَتْ إلى خوارَزْمَ [2] همّتُهُ كما
سلكَ الهِزبرُ إلى العَرينِ مَداخلا
لما غَدا جَيحونُ طوعَ مُرادِهِ
كيفَ اقْتضاهُ جامداً أو سائِلا

---

(١) الأبيات من معجم الادباء : ١٣/٣٩ .
(٢) الواو لا تنطق . فنقول هنا « إلى خارزم » .

واستحسنَتْ فيهـا الثّعالبُ لبسَـهُ
لِفرائِهـا فاختَرْنَ حتْفاً عاجِلا
شقَّ العَصا وعصى وظَنَّ غَضاضةً
في أن يبيتَ مُهادنـاً ومجامـلا [1]
قالوا : مَحا السُّلطانُ عنْهُ ، لامَحا[2]
سِمَةَ الفُحولِ وكـانَ قَرْماً صائِلا
قلتُ : اسكُتوا فالآنَ زِيدَ [3] فُحولةً
لمّا اغْتَدى عن أُنْثَيَيْـهِ عاطِلا
والفَحْلُ [4] يأنَفُ أن يُسمّى بعضُهُ
أُنثى ، لذلِكَ جذَّهُ [5] مُسْتأصِلا
ولربّمـا يُخصَى الجَوادُ فيكتسي
سِمَناً وقد رثَّتْ قُـواهُ ناحِلا
فيُغـيرُ في الظّلماءِ غـيرَ منبِّـهٍ
جيشَ العدوِّ بأنْ يُحَمْحِمَ صاهِلا
يَهْنيـهِ نفيُ الأُنثَيَيْـنِ فإنّـهُ
نَقْصٌ يسوقُ إليهِ مَجْداً كامِـلا

---

(١) من الدمية : ٧٩٨/٢ ، أما الأبيات : ٧ ، ٨ ، ٩ فهي موجودة كذلك في معجم الأدباء : ٤٣/١٣

(٢) في معجم الأدباء : ٤٣/١٣ : بعدكم .

(٣) في معجم الأدباء : زاد .

(٤) في معجم الأدباء : فالفحل .

(٥) في الدمية : ٧٩٨/٢ : جذها .

قال أبو عاصم الفُضيلُ بنُ محمدٍ الفُضيليُّ :

عيــونُ النـــاس لا تَلقــى
ولم تلــقَ كعبــــدِ الله
(هزج)

فأجازَهُ الباخرزيُّ بقولِهِ :

ولا يُنكِــــرُ هـــذا غيــ
ــرُ مَـــن مـــالَ عنِ الملّه [1]

قال الباخرزي لأبي الفضل القطّان الهروي بعد أن طالبه بقطعة شعرية أضاعها :

أمَولايَ قُلْ لي : لِمْ أضعتَ خَريدةً
عليها حُليٌّ من صياغــةِ أنمُــلي ؟
(طويل)
ألم تخشَ جيشاً يَستبــدُّ بذاتِهـــا
فيفتضُّها [2] قَسراً ويطمعُ في الحُلي ؟
ترفّقْ بتلــكَ المُبتلاةِ وخُذ لَهــا
بعونِــك يا مِعوانُ كــلَّ مَن ابتُلي
ولا تَستجزْ تبعيدَهــا منك ، إنهــا
إذا بعُدتْ فرّتْ بِتقريبِ تَتْفُلِ [3]

(١) الدمية : ٨٧٥/٢
(٢) افتض : افترع .
(٣) الدمية : ٨٨٦/٢

أنشأ قصيدةً في رثاءِ أبيهِ ، وهذا بيتٌ منها :

وما الأبُ إلاّ الأبُ ما عاشَ لابنِهِ
وآبَ لهُ طيبُ الحَياةِ إذا بلي [1]
(طويل)

قال يمدح طغرلبك :

سِرنــا ومرآةُ الزّمــانِ بحالهــا
فالآنَ قــد مُحقت وصارت مِنْجَلا
(كامل)
تَخِـدُ [2] الركابُ فلا تعوجُ بنا على
طَلَلِ الحبيب ولا تُحــيي المنــزلا
وتحرك الأعطــاف تَشْمــيراً بِنــا
وتُيمِّـــم الملــكَ المظفرَ طُغْرِلا [3]

وله (في غزل الغلام) :

أضنى الهوى جسَدي وأكسفَ بــالي
وحُرمتُ وصلَ الشادِنِ الطّبّـــالِ
(كامل)
رمتُ الوِصالَ فقالَ : خطبٌ هيِّنٌ
لكنَّ كيسَكَ مثــلُ طَبلي خــالِ

---

(١) الدمية : ج٢
(٢) تخد : تسرع .
(٣) لباب الألباب : ٦٨ .

حرف الميم

(قال في غزل الغلام) :

وإنّي لأهوى[1] لسْعَ أصداغِكَ الّتي عقاربُها في وجنتَيْكَ تحومُ
(طويل)
وأبكي لدرِّ الثّغرِ منكَ ولي أبٌ فكيفَ يديمُ الضّحكَ وهْوَ يتيمُ؟[2]

وقال (في الغزل) :

مُنايَ هواكَ لا ساعدتُ سُعدى ولا سقتُ السّلامَ إلى سُلَيمى
(وافر)
سأسرجُ مركبَيْ مُلكٍ وهُلكٍ فأركبُ واحداً إيْما وإيْما[3]

وله (في الافتخار) :

لي في الشّجاعةِ سهمٌ ما ضربتُ بهِ إلاّ رمى السيفَ قِرْني وهوَ مُنهزمُ
(بسيط)
والضربُ بالسيفِ لم تنطقْ بهِ لغةٌ والرميُ بالسيفِ[4] لم تسمع بهِ الأمَمُ

---

(١) في وفيات الاعيان : ٣/٦٨ : لأشكو .
(٢) ورد البيتان كذلك في وفيات الأعيان : ٣/٦٨
(٣) يريد : إما
(٤) يرجح أنها : الرمح

وقال (في الافتخار بشعره) :

يا جاهِلاً عابَ شِعري فكدَّ قلبي وآلَمْ (مجتث)
عليَّ نحتُ القوافي وما عليَّ إذا لَمْ [1]

قال في يعقوب بن أحمدَ ، وانظر كيف يتلاعبُ بلفظة (عم) :

يعقوبُ عَمَّي وغيرُ بِدعٍ لو عمَّ قلبي ولاءُ عمِّي (مخلع البسيط)
وُدِّي لهُ كالصبّاحِ عارٍ ولا أُورِّي ولا أُعمِّي [2]

قال من مدحةٍ نظاميّة :

وافرحْ فما يُلقى لسدّك هادمٌ وامرحْ فما يُلفى لحدِّك ثالِمُ (كامل)
فإذا سخَوتُ فإن سيبكَ عارضٌ وإذا سطَوتَ فإنَّ سيفَكَ عارِمُ
فلِذاك تُخشى مِن قَناكَ مَطاعِنٌ وكذاكَ تُغشى من قِراك مَطاعِمُ [3]

وقال (في الغزل) :

أتَتْني سُليمى لرسمِ السّلام ، ونَفْسي تَتوقُ إلى رسمِها ، (متقارب)
صبيحةَ يومٍ قصيرِ البَقاءِ تَغدو غزالتُها كاسْمِها

---

(١) ويقصد : إذا لم تفهم البقر .
(٢) الدمية : ج ٢
(٣) الدمية : ج ٢

وقال أيضاً (في الغزل) :

أفاطمُ يا تربَ النجوم تَركتِني مُنادِمَها ليلاً ولستِ بنادِمَهْ
(طويل)
فَها أرضِعي من درِّ ريقِكِ هائماً جوانحُهُ حولَ المَوارِدِ حائمَهْ
ولولا مُحالاتُ المُنى ما وجدتِني أرومُ رضاعاً منكِ واسمُكِ فاطِمَهْ [1]

وقال (في الشكوى) :

وأشرقَني الجريضُ فلا قريضٌ [2] وأثخنَني الكِلامُ فلا كَلامُ
(وافر)
فما لجيادِ أشعاري صَهيلٌ ولا لظباءِ آدابي بُغامُ

وله (في هجاء بلدة جرجان) :

خلِّ جُرجانَ وخيِّم أينَما شئتَ من مَرعىً مُباحٍ وحِمى
(رمل)
إنّها دارُ هوانٍ تركَتْ مَغنمَ القاطنِ فيها مَغرما
ليسَ ذو الدرهم يَدري أنّهُ يشتري ثَلجاً بهِ أم فَحَما

وقال (في الفحش) :

خذمةُ [3] الخِصيانِ في العين عمىً فاستفدْ منهُم وفي القلب عمَهْ
(رمل)
مَن زنى فليتبطّنْ حُرّةً وليكُفَّ اليدَ عن كلِّ أمَهْ

(١) تورية للأم التي تفطم الصبي .

(٢) الجريض : الريق ، وأجرضه بريقه : أغصته . ويقال : حال الجريض دون القريض، يضرب لأمر يعوق دونه عائق . يحكى أن جوشناً الكلابي أرسل هذا القول حين منعه أبوه من الشعر ، فمرض حزناً فرق له ، وقد أشرف . فقال : انطق بما أحببت .

(٣) خزم الشيء : قطعه

حرف النون

(قال في الغزل) :

أنتَ الذي نقضَ الميثاقَ ليسَ أنــا
فدعْ جفاءَكَ إنْ كانَ الوفاءُ أنا [1]

(بسيط)

أبقيتَ مني روحــاً ما لَها بــدنٌ
لِذاكَ زوَّرتَ من ثوبــي لها بَدَنا

يا فالقَ الصُّبــحِ من لألاءِ غُرتِـــهِ
وجاعِلَ الليلِ من أصداغِـهِ سَكَنا [2]

بصورةِ الوَثَـــنِ استعبدْتَني وبِهــا
فتنْتَني ، وقديمــاً هِجتَ لي فِتنَا [3]

لا غَرو لوْ [4] أحرقَتْ نارُ الهوى كَبِدي
والنارُ [5] حَقٌ على مَن يَعبُدُ الوثَنا [6]

---

(١) من الفعل : يئن أي حان يحين .

(٢) ورد البيتان كذلك في معجم الأدباء : ٤٨/١٣ وفي وفيات الاعيان : ٦٧/٣ مع البيت بينهما ، وشذرات الذهب : ٣٢٨/٣ .

(٣) في وفيات الاعيان وشذرات الذهب وراغب : شجنا .

(٤) في معجم الادباء : أن .

(٥) في معجم الادباء والشذرات وراغب : فالنار .

(٦) يفضل حذف (ال) من كلمة (القبيح) .

وطافَ طيفُـــكَ وهنـــاً بي فأعجبَني
طَوفُ الخَيالِ على مثلِ الخيالِ ضَنَى

حاشاكَ حاشاكَ يا روحي فداؤكَ مِن
فِعلِ القبيحِ يُنافي وجهَــكَ الحَسَنا

إنْ كنتَ أسهلتَ فاذكُرْ مألَفاً خَشِناً
جاذبتَني فيهِ أهدابَ المُنى زَمَنا

ولم تكُنْ تَستجيزُ الظلــمَ لو فعلتْ
بكَ الصَّبابَةُ أدنـــى ما صنعْتَ بِنا

تبيــعُ مِثليَ مجّانـــاً بـــلا ثمـــنٍ
إنْ كانَ لا بُدَّ من بيعٍ فخُذ ثَمَنا

يا نخلُ يا نَحلُ حظِّي منكَ ليسَ سِوى
شَوكٍ ولسعٍ فهل مِن أطْيَبَيْكَ جَنَى؟

واللهُ يعلـــمُ أنّي مـــا مررتُ عـــلى
معاهدِ الحزنِ إلا قلتُ : واحزَنا !

وقال (يمدح عميد الملك منصوراً مع مقدمة غزلية) :

وفّى السَّحابُ لمغْنـــاهُ وإنْ خانـــا
وواصَلَ الخصبُ مَرعاهُ وإن بانـــا
(بسيط)

لا القُربُ أكسبَني منهُ المـــلالَ ولا
أفادَني منـــهُ بعدُ الـــدّارِ سلوانا

لبئسَ مــا زَعموا أنَّ المُحبَّ إذا
دَنَا يَملُّ ويَشفي النأيُ أحْيانــا

سبَرتُ حــاليَ في قربٍ وفي بُعُدٍ
فلا تسلْني ودعني كــان مــا كانا

يكفيكَ إن أنكرتْ نَفْسي صبابتَها
نَحافتي حُجَّةً والدمعُ [1] بُرهانــا

جفا فجازيتُــهُ بالضِّــدِّ مُعتقــداً
دينَ الهَوى سادراً حَيرانَ حَرّانــا

بِذا جرتْ عادةُ العُشاقِ شأنُهُمُ الـ
وفاءُ لَو شَرّعوا في غــيرِه شانــا

يَجزونَ من ظُلمِ أهلِ الظلمِ مَغفرةً
ومِن إساءَةِ أهلِ السوءِ إحْسانا [2]

يا راحةَ الروحِ حتّامَ الجفاءُ ؟ لَئِنْ
آنَ الوفاءُ فجدِّدْ عهــدَهُ الآنــا

قرَّبتُ [3] جِسمي ونارُ الحبِّ تأكلُهُ
فاقبلْهُ مِنّي وصُغ لي الطوقَ مَنّانا

كذاكَ فيما سمعْنا قبــلُ ما قَبلوا
إلاّ الذي أكلتــه النار قُربانــــا

---

(١) في را : والدهر .
(٢) تضمين للشاعر قريط بن أنيف من شعراء بلعنبر في الحماسة .
(٣) جعلته قرباناً .

وأنتَ يا هاتفَ الطرفـــاءِ خُذْ طرفاً
منّا ولا تشكُ أشواقـــاً وأشجانـــا
فاسكتْ فأنتَ وإن أسمعتَ جارتَنا
فقد عنيتَ بشجوِ الشّدوِ إيّانـــا
ما ذاقَ طعمَ الكرى إنسانُ عَيْني مُذْ
زفَّ السُّهادُ إليـــهِ أمَّ غَيلانـــا
راعـــي قضيّةَ إنسانيّـــةٍ شرعَتْ
رعيَ العهـــودِ بذا سمّـــوهُ إنسانا
إن لانَ عيشُ فتىً في ظلِّ مَنْشئِهِ
فإنَّ عيشيَ في « مالينَ » ما لانـــا
صودرتُ فيها على مالي وغـــاضَ بهِ
عِزّي وفـــاضَ عليَّ الـــذلُّ تَهْتانا
وأوطأونيَ دارَ الحبسِ مُبتـــذلاً
كأنّني كنتُ يومَ الـــدارِ عُثْمانا
وإنَّ مَن سلَّ عن فكّـــيَّ سيفهُمـــا
ما صان حقَّ أبيهِ حقّ لو صانـــا
عداوةُ الشعرِ بئسَ المُقتـــنى ومَتَى
أرضى إذا ما علكتُ الهجْـــوَ غَضبانا
كيفَ السَّبيلُ إلى إنكـــارِ مُعجزتي
إذا قلبتُ عصـــا الأقـــلام ثعبانـــا ؟
لا حبّذا البخْـتُ أعياني ومالَ إلى
قومٍ يعدُّهُـــمُ الأرذالُ أعيانـــا

يُدرِّعُ البصلَ المذمومَ أكسيةً
ويتركُ النَّرجسَ المشمومَ عُريانا

ويُنبتُ الشَّوكَ من أرضٍ وجارتُها
تُجني أكفَّ بُغاةِ الرِّزقِ عِقْيانا

سرٌّ دفينٌ نبشْناهُ فلم نَرَهُ
سبحانَ علاّمِ هذا الغيبِ سُبحانا !

يا صاحِبيَّ أعيناني على أرَبي
ونَبِّها جفنَ عزمٍ باتَ وَسْنانا

فسوفَ يُورِقُ عُودي إن بنيتُ على الـ
مطيِّ من شجراتِ الميسِ عيدانا

شوقاً إلى حضرةٍ نُصَّ الوِسادُ بِها
على سريرِ عميدِ المُلكِ مَولانا

منصورِ الأروَعِ المنصورِ رايتُهُ
فتى محمدِ المحمودِ أديانا

فُطمتُ عن بابِهِ المَعسولِ درَّتُه
بعدَ ارتضاعيَ من نعماهُ ألبانا

يعدُّني بيتُهُ من أهلِهِ وكذا النـ
ـبيُّ عَدَّ من أهلِ البيتِ سَلمانا

إذا حللتَ بِواديهِ رأيتَ حمىً
مُمنَّعاً ردَّ خطبَ الدَّهرِ خزيانا

لم تَستبحْ إبلاً للائذينَ بِهِ
بَنو اللّقيطةِ من ذُهلِ بن شَيبانا

أبوابُ اسطبلِهِ إذ قستَ أرفعُ مِــن
إيوانِ كسرى وأعلى منهُ بُنيانــا

والأنجمُ الزُّهــرُ سُوّاسٌ مُواظبــةٌ
عــلى مَراكبِــهِ سِرّاً وإعلانا

حقّاً أقــولُ فلَولا ذاكَ مــا نقلت
على المجرّةِ طولَ الليلِ أتْبانا (١)

وماءِ بشرٍ مصــونٍ في قَرارتـــهِ
يروي الرَّجاءَ إذا وافــاهُ عطشانــا

وطَلعةٍ زانَهــا الباري بقُدرتــهِ
فخطّهــا لكتابِ الحُسنِ عُنْوانا

وخاطــرٍ كشواظِ النّــارِ مُتّقد
يكــادُ يقدحُ منــهُ الوَهم نيرانــا

مُستظهــرٌ بعبــاراتٍ وألسنــةٍ
تفنّنَتْ كــالرياضِ الغُــرِّ ألْوانا

هَدى إلى لغــةِ الأعرابِ تُبَّعَهــا
وزَفَّ بالمَنطــقِ التُّركــيِّ خاقانــا

وإنْ تفقّــهَ في نــادٍ أقــرَّ لَــهُ
أبو حنيفــةَ بالتّبريــزِ إذْعانــا

إذا تَفلسفَ فالاقليــدُ (٢) في يــدِهِ
يحلُّ إقليدِسَ المُعْتاصَ عرفانــا

---

(١) أتبان : مفردها تبن وهو عصيف الزرع .
(٢) الاقايد : مفتاح ، وأصلها : كليد وهي فارسية .

وينسجُ الحبرُ من مكتوبه حَبَراً
منسوجُ صنعاءَ في منسوجِه هانا
لم يخلُ من ثَمَراتِ الفَضلِ مُذ غُرِست
يداهُ فيها من القصباءِ أغصانا
مَجلوبةٌ جاوَرَتْنا في منازِلنا
وخلّفتْ في جوارِ الأسْدِ أوطانا
لولا الحَنينُ إلى الأوطانِ لم ترَها
مُصفرَّةً سَحّةَ الآماقِ مِرْنانا
خُذها إليك أبا نصرٍ مُفوّفَةً
تخالُها أعينُ الرّائينَ بُستانا
أهدى لها صُدُغُ معشوقٍ بنفسجَهُ
وخَطّ عارضُه الوَرديُّ رَيحانا
كأنّما استُودعَتْ في كلّ قافيةٍ
مقُرطقاً ساحرَ الألحاظِ فتّانا
مَمْطورةً بسحابِ الطبعِ ساحبةً
بُرداً يغطي وراءَ الذّيلِ سحبانا
غازِلْ عرائسَها وافتضّ عُذرتَها
واعقِدْ بأرْؤُسِها نعماك تيجانا
وعشْ كما شئتَ ما ناحَتْ مُطوّقةٌ
بِلَوعةِ البَينِ وَهْناً وامتطَتْ بانا
فأنتَ سلطانُ أهلِ المجدِ قاطبةً
وركنُهم ، دامَ ركنُ الدينِ سُلطانا

وقال أيضاً (في مديح العميد أبي طاهر خلف بن الحسن) :

رعى اللهُ عهدَ حبيبٍ ظَعَنْ
وحيّا مساكنَ ذاك السّكَنْ
(متقارب)

فإنّي مُذ أضمرتْهُ البلادُ
مُعَنّىً بأشواقِهِ مُمْتَحَنْ

وقلبي على صدقِ إيمانِهِ
يُحبُّ عبادةَ ذاكَ الوثَنْ

أروحُ وفي الحَلْقِ منّي شَجىً
وأغدو وفي القَلبِ منّي شجَنْ

وأبكي ولا طوقَ لي بالفراقِ
إذا ذاتُ طَوقٍ بكتْ في فَنَنْ

فللماءِ من مُقلتي ما بَدا
وللنّارِ من مُهجتي ما كمَنْ

وأسهرُ مُنتصباً في الفراش
كما انتصبَ الفِعلُ من بعدِ أنْ

ومَن لجُفوني بشيءٍ نسيتُ
وأحسبُهُ كان يُدعى الوسَنْ

ومهما تلسّنَ برقُ الحِمى
فإنّيَ في ذكرهِ ذو لَسَنْ

أقولُ لنفسي عسى أو لعلّ
وذلك من خِدَعِ العِشقِ فَنْ

كـأنّي في حبّـه تاجـرٌ
ومـا رأسُ مـاليَ إلاّ الثّمَـنْ

فخـلُّ الهـوى إنّـهُ والهوانَ
شريكـانِ لُزّا معـاً في قَـرَنْ

وإنّـي جُهينـةُ أخبـارِهِ
وعِنْدي اليَقـينُ بِهـا فاسألَنْ

أأرعـى السّفـوح ولـي همّـةٌ
مُطنبّـةٌ في نَواصي القُنَـنْ ؟

وآسى وفي الأرضِ مثـلُ العميـدِ
أبي طـاهرٍ خلـفِ بنِ الحسَنْ

جهيـرِ النِّـداءِ كثـيرِ النّدى
جزيلِ العَطـاءِ رحيبِ العَطَنْ

ونيطَتْ عُرا الملـك من رائِهِ (١)
بِبعض (٢) الدّهـاءِ مِعَـنٌّ مِفَنّ

إذا بعُـدَ المـاءُ مِـن ماتِحٍ
فمـن عنـدِهِ دَلْـوُهُ والشّطن

وإنْ تـاهَ في النـاسِ آمالُنـا
تَداركَنـا منـهُ سَلوى ومَـنْ

فسلـوى وفيـهِ لنـا سَلْـوةٌ
ومَـنٌّ ولم يتنغّـصْ بمَـنّ .

---

(١) يعني : رأيه .

(٢) لعلها : بمحض .

يُهـينُ كرائـمَ أموالِـه
ويَشْري الثَنـاءَ بأغـلى ثمَنْ

هو الـرُوحُ في بـدنِ المكرُمـاتِ
وبالرُّوحِ يُرجـى بقـاءُ البدَنْ

فما فاتَـهُ في الشبـابِ الوقـارُ
ولم يُنسِهِ الشّيبُ عهـدَ الدَّدَنْ (١)

شَجايـاهُ مثـلُ ريـاضِ الحزونِ
تَسرُّ الحزيـنَ وتَسرو (٢) الحزَنْ

فعِلمٌ يفنِّـدُ فيـهِ الحليمُ
وحِلمٌ يُزلـزَلُ منـهُ حَضَنْ (٣)

به نفـرةٌ من دَنايـا الأمـورِ
كما ذَعَرَ السربَ نَبـعٌ أُرَنْ (٤)

تجـرُّ أعـاديهِ مـن بـأسِهِ
على الأخشنينِ السّفـا والسّفَنْ (٥)

قَصدتُ ذَراهُ وظنّـي بـهِ
جميلٌ فحقّـقَ لي كـلَّ ظَـنْ

وجبتُ القِفـارَ وطفتُ البـلادَ
فلـم أرَ حُـرّا سِواهُ ، ولَنْ

---

(١) الددن : اللهو واللعب .
(٢) تسرو : تكشف .
(٣) حضن : جبل بنجد .
(٤) نبع أرن : نشط .
(٥) السفا : شيء ذو شوك . السفن : الجلد الخشن يسنن به الخشب فيلين .

ولا مدحِـــيَ المُجتْبى شذّاً عنْهُ
ولا مَنحُــهُ المُجتْنى شذّاً عَنْ

فــلا زالَ في نعمـــةٍ لا تَـــزولُ
وجدٌّ يجـــدِّدُ طـــولَ الزَّمنْ

وقال (في الغزل) :

وبيضٍ جَوارٍ صَعَـــدنَ السُّطوحَ
فـــأقررْنَ أعـــينَ عشّاقِهِـــن
(متقارب)
صعـــدنَ السطوحَ فكـــانَ الصعودُ
سعـــوداً لطالـــعِ مُشتاقِهِـــنْ

فضَحـــنَ الغصـــونَ بقامـــاتِهِنَّ
وعُفّـــرَ الظّبـــاءِ بأعناقِهِـــن

وزادَتْ خلاخيـــلُ أسواقِهِـــنَّ
نَفـــاقَ بضاعـــاتِ أسواقِهِـــن

وقال (في الغزل) :

لقد كنـــتُ أعرَفُ بـــابنِ الحسَنْ
فلقّبني العِشقُ بـــابنِ الحـــزَنْ
(متقارب)
ولـــولا الهَوى ما لقيتُ الهـــوانَ
ولولا الدُّمى لم أقِـــف بالدِّمَـــنْ

نأى مَن أحــبُّ فــلي مَدمــعٌ
كمــا انْتَثَــر اللؤلــؤُ المُختزَنْ
ألا أيّهــا النفسُ لا تَيــأسي
من الاجتمــاعِ عسى اللهُ أنْ [1]

كتب إلى أبي القاسم بكرِ بنِ المُستعينِ الكاتبِ :

لــو كان يُدرى بــأيٍّ بُــرجٍ
قد حلّتِ الشمسُ لارتَقَيْنــا
(مخلع البسيط)
إلى سنــا نورِهــا ولكــن
حــالَ التّنائــي فما التَقَيْنا [2]

وقال (في الغزل) :

لو أنــني حُسنُهُ أو أنّــهُ حزَني
ما بِنتُ عنهُ ، وعنّي قطُّ لم يــبِنِ
(بسيط)
لأنّه لم يزل والحسنَ في قَــرَنٍ
وأنني لم أزَلْ والحزنَ في قَــرَنِ

وقال (في المديح) :

بحــرٌ إذا مــا نَزَفــوهُ طَما ،
طَودٌ إذا ما زَلزلــوهُ اطْمــأنْ
(سريع)

(١) تلميح إلى الآية الكريمة : « عسى أن يكون قريبا » (الاسراء : ١٧/٥١) .
(٢) الدمية : ج٢

كالمـــاءِ والنارِ جَــرى والتظى
كالريـــحِ والتُّرب سَـمـــا وارجَـحَنْ

وقال (في الهجاء) :

أيا مَن ليسَ مُحتفلاً بيــأسي
ستَعلم أنَّ رأيَـــكَ فيهِ أَفْنُ [(١)]
(وافر)
وتَعرفُـــني غَـــداة يَجيشُ جيشٌ
ويرعفُ مـــارنٌ [(٢)] ويسيلُ جَفْنُ

وقال (في الشكوى) :

بزَّني دهـــريَ اللئـيمُ كَريمـــا
كـــانَ لي والداً وكنتُ أنـــا ابْنا
(خفيف)
كـــلُّ شيء يبيـــدُ واللهُ بـــاقٍ
ربَّنـــا إنَّنـــا إليـــكَ أَنبْنـــا

وقال (في المديح) :

سَيِّدي قد ظننـــتُ فيـــكَ جميلاً
فتفضَّلْ وجُـــدْ بتحقيقِ ظَنِّـــي
(خفيف)
أتمنَّـــى الطوافَ بالبيتِ فـــأذَنْ
إنَّ فيـــهِ لمُنيـــةُ المُتَمَنِّي

---

(١) أفن : ضعف في الرأي .
(٢) رمح مارن : صلب لدن .

حبَّذا حبَّذا متاعُ غرور

يدفعُ الماءَ عنكَ والنّارَ عني

يُحكى أنَّ أجزاءَ الوزيرِ الكُنْدُريَ تقطّعَتْ ودُفنتْ بعدَ موتِهِ في شتّى البلادِ ، فقال الباخرزي في ذلك : [1]

مـا بـالُ هذا الفلكِ الجاني

نأى ولكنْ جَورُهُ دانِ ؟

(سريع)

وليستِ الدُّنيا سوى قَحبةٍ

تَبرُزُ في الزينةِ للزاني

حتّى إذا اغْترَّ بإقبالِها

مالتْ لإعراضٍ وهجرانِ

هذا عميدُ الملكِ وهو الذي

لم يَخلُ منهُ صدرُ ديوانِ

ولا نَضا طاعتَهُ ماردٌ

إلاّ اكتَسى فروةَ خِذلانِ

ولا اعْتراهُ القِرن [2] إلاّ رأى

غَضَنفراً في زيٍّ إنسانِ

كأنَّ في خاتَمِهِ حيثُ ما

أومى بهِ فصُّ سُليمانِ

(١) من الدمية : ٢/٨٠٧

(٢) القرن : الكفء والنظير .

شادتْ يدُ الدّولةِ أركانَهُ
ثمَّ هوى أعظمَ بُنيانِ
مفرّقاً (١) في الأرضِ أجزاؤُهُ
رهنَ (٢) قُرىً شتّى وبُلدانِ
جَبَّ بخوارزمِ (٣) مذاكيرَهُ
طُغرِلُ (٤) ذاك الملكُ الفاني
وجادَ (٥) مروَ الرُّوذَ من جيدهِ
معصفرٌ (٦) مخضبُهُ قانِ
والشخصُ في كُنْدُرَ مُستبطَنٌ
وراءَ أرماسٍ وأكفانِ
ورأسُه طارَ فلهفي (٧) على
مَجثمهِ في خَبرِ جُثمانِ
خَلّوا بنيسابورَ مَضمونَهُ
وقحفَه الخالي بكَرمانِ
والحكمُ للجبّارِ فيما قَضى (٨)
وكلَّ يومٍ هو في شان (٩)

---

(١) في معجم الأدباء : ١٣/٤٤ : مفترقا .
(٢) في معجم الأدباء : بين .
(٣) جب : قطع . خوارزم : لا تلفظ الواو لوقوعها بين الخاء والألف .
(٤) في معجم الأدباء : طغرلبك .
(٥) في معجم الأدباء : ومص .
(٦) في معجم الأدباء : معصفراً .
(٧) في معجم الأدباء ١٣/٤٤ : ولهفي .
(٨) في معجم الأدباء : مضى .
(٩) اقتباس من القرآن الكريم ٥٤/٢٩ ، وتمام الآية « يسأله من في السماوات كل يوم هو في شان » .

فـــلا تُلَجِّجْ في غمـــارِ المُـــنى
وارضَ بمـــا يُمني [1] لـــك الماني

قالها في وصف حرارةِ مزاجِهِ [2] :

قُربُ السَّقامِ وبعدُ الأهلِ وَالوطنِ
هُما هُما أوْرثاني السقمَ في بَـــدني
(بسيط)

حنَّتْ هوًى لجبـــالِ الثّلـــجِ راحِلتي
ومـــا لَها بِبراقِ الشِّيحِ من عَطَنِ [3]

ما لي أُذيعُ فنونَ الوَجـــدِ مُشتكيـــاً
إذا اشتكتْ شجوَها الورقاءُ في فَنَنِ ؟

بقيتُ بالبَصرةِ الرَّعناءِ مُمْتَرِياً [4]
دَمْعاً غسلتُ بهِ عن مُقلتي ، وَسَني

طَوراً تراني فيهـــا ذاويـــاً زَهَري
من النُّحولِ وطـــوراً ذابلاً غُصُني

لِرقصِ برغوثِهـــا القَفّازِ في سَلَبي
بَدءاً وَعوداً وزمرِ البـــقِّ في أُذُني

---

(١) يمني : (هنا) يقدر .
(٢) من الدمية : ٢٠٥/١ .
(٣) العطن للإبل : كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركها حول الحوض . الشيح : اسم نبات سهلي مر . البراق : مفردها برقة وهي الأرض الغليظة بحجارة ورمل .
(٤) ممترياً : مرى الدم وأمراه إذا استخرجه . ومرت الريح السحاب إذا أنزلت منه المطر . فيكون المعنى : ساكباً ومرسلا الدمع .

ومائِهــا المِلحِ والشمسِ التي صَهرت
رملَ الفَلا وأذابَتْ صخرةَ القُنَنِ (١)
ونَفْضِ زائــرةٍ (٢) تنفــكّ تُنزلني
عن ظهرِ صَبري وليسَ النوم يَحملُني
إذا عَرتْ مضجعي ظمياء (٣) جائعةٌ
تشرَّبت رَوْنقــي واستأكلَــتْ سِمَني

ومنها :

كالمشرفيِّ إذا أغمــدت في فُــرُشي
وإن نُفضتُ منَ الحُمّى فكــليزَني (٤)
ولــو فَشا خــبرٌ ممّا مُنيــتُ بِهِ
بأرضِ خيبرَ ظَلَتْ منــهُ في مِحَنِ
بِمَ التَعلُّلُ لا أهــلي لــديَّ ولا
عنديَ النَديمُ ولا كَأسي ولا سَكَني ؟ (٥)

---

(١) القنن : مفردها القنة ، وقنة كل شيء أعلاه مثل القلة ، وقنة الجبل : أعلاه .
(٢) يعني بالزائرة : الحمى .
(٣) الظمياء : النحيلة .
(٤) المشرفي : نسبة إلى مشارف الأرض ، وهي مشارف الشام ، وتنسب السيوف إليها
"يزني : الرمح المنسوب إلى ذي يزن وهو من ملوك حمير .
(٥) هذا البيت استعانة بقول المتنبي :

بم التعلل لا أهــل ولا وطــن ولا نديم ولا كأس ولا سكن ؟

(الديوان طبعة بيروت : ٤٠٣)

الشكرُ دأبيَ والكُفرانُ لستُ لـهُ
سيّانِ في جَـذَلٍ أصبحتُ أم حزَنِ

وقال (في الشماتة) :

طـوى المَـنـونُ الحَسَنـا
لـذا طويـتُ الشَّجَنـا
(مجزوء الرجز)
فالحمـدُ للهِ الـذي
أذهـبَ عنّـا الحزَنـا

وقال في الغزل :

ألا سُقيتْ أطلالُ ليلى وإنْ عَفَتْ
مَغاني غَوانيهـا وولّى زَمانُهـا
(طويل)
تُوفيتِ الـلذاتُ في عَرَصاتِهـا
لذاك بكتْ نوّاحـةٌ ورشانُها [1]
وعهدي بها من قبـلُ حُمراً جِمالُها
وخُضراً مَراعيهـا وبيضاً حسانُها
فَطوراً بلَثْمِ النايِ يُعْنى زِنامُها [2]
وطوراً بضربِ العودِ يُغرى بَنانُها
وتَحسو عصيرَ السيل أغصانُ دَوْحها
فتهتزُّ سكراً والطيورُ [3] قيانُهـا

---

(١) الورشان : نوع من الحمام البري أكدر اللون فيه بياض فوق ذنبه .
(٢) الزنمتان : شرختا الفوق حيث يوضع الوتر .
(٣) في ف ٢ : وطيور .

وله (في الغزل) :

لله أيُّ جذرٍ يــومَ النّــوى
أودَعْنَ منّي في الجنّــانِ جنُونا
(كامل)
لو لم يكُــنَّ جــآذراً ما سُمّيــتْ
شَعَراتُهُــنّ عــلى الرؤوسِ قُرونا

وله أيضا (في الغزل) :

يقولــون : سُعــدى أساءَتْ إليـ
ــكَ وهْيَ بهجرانِهــا مُحسِنَــه
(متقارب)
لأني قــدِ ازدَدْتُ عمــراً بِــهِ
فيومنــيَ شهرٌ وشَهــري سَنَه

وله (في غزل الغلام) :

بعتُ عبــداً كــان لــي سَكَناً
وَسكنتُ النــارَ من مِحَنِــهْ
(مديد)
فهــو من مِغنــايَ مُرتحِــلٌ
وأنــا الباكــي عــلى دِمَنِــهْ
قليــتْ عيــني مُــذ قليــتْ
عــينُ ميزانِــي مــن ثَمَنِــهْ

وقال (في الفحش) :

البطـــنُ لا أسلكُـــــهُ
فإنّـــني أحـــذرُ مِـــنْ
(مجزوء الرجز)
وأركــب الظهـــرَ بلَــى
مَن ركبَ الظهــرَ أمِـــنْ

وقال (في الخمرة) :

شربُ المحرمِ فــي المحرَّمِ سُنّــةٌ
فانشَطْ لهُ وامسح عنِ العينِ السِّنَهْ
(كامل)
وإذا تــلاسَنَ في ملامــك حاسِدٌ
فالحَضْرميَّةُ [1] في قَفــاهُ مُلسّنَهْ

(قال في هجاء فضلون) :

وفتِ السعــودُ بوَعدِهــا المضمونِ
وترادفتْ بالطــائر الميمــون [2]
(كامل)
وعــلا لــواءُ المسلمينَ وشافَهوا
تحقيــقَ آمــالٍ لهــم وظنونِ

(١) الحذاء الحضرمي .
(٢) القصيدة من الدمية : ١/٢٦٢ .

وأضاءتِ الدنيا وسُلَّ صباحُها
من بينِ جانحتي دُجىً ودُجون [1]
واخضرَّ مُغبرُّ الثرى فنسيمُهُ
يُثني على سُقيا أجشَّ هتونِ
بالفتحِ فتّحَ بابَه ذو عزّةٍ
وَعَدَ الإجابة حين قال : ادعوني
إنَّ [2] الحديثَ لذو شجونٍ فاستمعْ
أحلى حديثٍ بل ألذَّ شُجونِ
أمّا الممالكُ فالسُّرورُ مطنّبٌ
في مستقرٍّ سريرِها الموْضُونِ [3]
شقّتْ عقيقَ شفاهِها مُفترَّةً
عن مبَسمٍ كاللؤلؤِ المكْنونِ
بعدَ اعترِاضِ اليأسِ نالَ مَحاقَهُ
قمرُ الرَّجاءِ فعادَ كالعُرجونِ [4]
فضلٌ من اللهِ العزيزِ ونعمةٌ
كفّتْ فضولَ البغيِ من « فَضْلون »

---

(١) الدجون : مفردها الدجن ، وهو إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء .
(٢) في النسخة ب ٣ : أحلى .
(٣) الموضون : المنسوج بالجواهر .
(٤) المحاق : (مثلثة الميم) آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستمر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية . سمي كذلك لأنه طلع مع الشمس فمحقته . العرجون : الغصن أو إذا يبس اعوج .

لمّا اغتــدى جــارَ الغمامِ وغره
بالومْضِ بارقُ رأيــهِ المأفونِ [1]

في شامخٍ أيستْ [2] وفودُ الريح من
جرِّ الذُّيــولِ بصحنِــهِ المسكونِ

لم تفترعْــه الحــادثاتُ ولم تطُــفْ
إلا بمحــروسِ الجهاتِ مَصــونِ

يَلقــى برَوقَيْــهِ النجومَ مُناطحاً
ويحكُّ بالأظلافِ ظهــرَ النونِ [3]

أنستْهُ بِطْنَتُه [4] أيــاديَ مُنعــمٍ
سَدِكٍ [5] بعــادةِ لُطفهِ مَفتــونِ

في ضمنِ بُرديــهِ مَهيبٌ مُتَّقىً
وعليــهِ بِشرُ مؤمَّــلٍ مأمــونِ

كالمَرْخِ [6] يُبدي الاخْضرارَ غصونُه
والنارُ في جنبيْــهِ ذاتُ كُمــونِ

فبَغى ، وألسنةُ القَنا يُنْذرْنَــهُ
برحىً [7] لحبّاتِ القلوب [8] طحونِ

---

(١) المأفون : الضعيف الرأي والعقل والمتمدح بما ليس عنده .
(٢) في ب ٣ وف ١ : سانح لبست .
(٣) الروقان : مثنى الروق ، وهو القرن . النون : الحوت .
(٤) في ح وبا وب ٣ وب ١ وف . وف ٣ : أنست مطيته .
(٥) السدك : المولع بالشيء .
(٦) المرخ : شجر سريع الوري .
(٧) في ب ٣ ول١ : بدجى .
(٨) في ل ٢ : الصدور .

وطَغى ، ومن يَستغنِ يطغَ كما الثّرى
إنْ يروَ يوصَفْ نَبتُــهُ بجنُونِ

وافْــتنَّ في آرائــهِ مُتلوِّنــاً
كأبي بَراقِشَ أو أبي قَلَمونِ (١)

طَوراً يجُــرُّ فــؤادُهُ رسَنَ المُنى
أيْ كيفَ أُلْحَقُ والمجــرَّةُ دوني ؟

ويقيسُ طَوراً حصنَهُ بالسجنِ من
فَشَلٍ وراءَ إهــابِــهِ مَسجونِ

والحربُ تَنكِــحُ والنفــوسُ مهورُها
مــا بــينَ أبكارٍ تُزَفُّ وعُونِ (٢)

والبيضُ تَقمَــرُ والغبارُ كأنــه
خِرَقٌ شُقِقْنَ من الدّآدي الجُونِ (٣)

والنّبــلُ يُمطرُ وبْلَهُ من مُنْحنى
نبعٍ كمُرْتجِزِ الغَمام حَنُــونِ (٤)

رَشْقاً كألحاظِ الحسانِ رمى بها الـ
ـعُشّاقَ قوسُ الحاجبِ المقرونِ

---

(١) أبو براقش : طائر صغير بري كالقنفذ ، أعلى ريشه أغر وأوسطه أحمر وأسفله أسود . فاذا هيج انتفش فتغير لونه ألواناً شتّى . أبو قلمون : طائر رومي يتلون ألواناً .

(٢) في ح : عين .

(٣) في ب٢ وب ١ : الدراري . تقمر : تظهر وتبين . الدآي والدوادي : (مفردها الدوداة) الليالي المظلمة .

(٤) في ح وب ٣ وف ١ وف ٣ ول١ : هتون .

وتطـيرُ أفـلاذُ الجبالِ (١) كأنّها
من كلٍّ ناحيةٍ تقولُ : خـذُوني

صمٌّ رَواجعُ إنْ تزِنْ رَضْوى (٢) بها
تُخبْركَ عن كميَّـةِ الكمّـونِ

وترى الدماءَ عـلى الجراحِ طَوافياً
فكأنّهـا رَمـدٌ بنُجْلِ عُيونِ

حتّى إذا نضبَتْ (٣) بحارُ عُبابِـه
عنـهُ سِوى حَمَأٍ (٤) بهـا مَسْنونِ

ركبَ البحـارَ سُحَـيرَةً وتخايلَتْ
صُورُ النجـاةِ لوهْمِهِ المظْنونِ

وتدبَّرتْ عُصْمُ الوُعولِ مكانَهُ
وغَدا كضَبٍّ بالعَراءِ مَكونِ (٥)

فإذا الطلائع كالدَّبا (٦) مَبْثوثـةٌ
لفُّوا سهولاً خلْفَـهُ بحزُونِ

يَطَوْونَ أعقـابَ العُتاةِ كما هَوى
نجمٌ لرجْـمِ المـارِدِ الملْعونِ

---

(١) في ح وب ١ وف ٢ : الكباد . وفي ل٢ : الحسان .
(٢) رضوى : جبل بالمدينة .
(٣) في ف١ : انصبت .
(٤) الحمأ والحمأة : الطين الأسود المنتن .
(٥) الأعصم من الظباء والوعول : ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض ، وسائره أسود أو أحمر
المكن : بيض الضب والجرادة وهي مكون .
(٦) الدبا : أصغر الجراد والنمل .

كانوا التُّيوسَ ولا قُرونَ فكَلَّلَتْ
سُمْرُ الرمــاحِ رؤوسَهم بقُرونِ

وأتَوا بفضْلونَ الشّقيِّ كأنّهم
نَبَشوا به الغــبراءَ عن مدْفــونِ

في قدٍّ رابي الأحْدَبَيْــنِ أبــانَهُ
عن سَرْجِ راسِي الوطْأتينِ حرونِ [1]

أعطى المقادَ بأرض فــارسَ راجلاً
يَفْدي الدّمــاءَ بمالــهِ المخزونِ

مُتدحرِجاً من طَــودِ نخوتــهِ إلى
سفْحٍ من القــدْرِ الــدّنيِّ الــدُّونِ

لولا عواطــفُ رايةٍ رَضَويّةٍ
عَقدتْ حُباهُ عــلى دمٍ مَحْقونِ

وقَضيّــةٌ مــن سيرةٍ عُمريّةٍ
حكمتْ بفــكٍّ لسانهِ المرْهونِ

لتَضلّعتْ [2] طــيرُ الفــلا وسباعُها
من شِلْوِهِ المُلْقى بــدارِ الهُونِ

نَسبوا إلى الشيخِ الأجلِّ إباقَهُ [3]
عنتاً ، وعُونيَ فيهِ مــا قد عُوني

(١) الرابي : من ربا يربو أي زاد ونما . الحرون : الدابة التي اذا استدر جريها وقفت . لم يتيسر لنا رسم الكلمة (الأحدبين) إلا كذا .

(٢) تضلعت : شبعت وارتوت .

(٣) الإباقة : هرب العبد من سيده .

فالذنْبُ ذنبُ السامــريِّ وعجْـلِه [1]
والعَتْبُ من موسى عــلى هــارونِ
ولذاك أرسى [2] كَلْكَلاً خشعتْ لهُ
شُمُّ الحصــونِ فسُوِّيتْ بصُحونِ
ليثٌ تواضــعَ في الفريسةِ فاجْتَرى
بالتّيسِ ذي القرنينِ والعُثْنونِ [3]
أهــلاً بأخلاقِ الوزيرِ كأنهــا
دَمَثُ الحُزونِ وفَرحــةُ المحزونِ
قد شالَ عبءَ المــلك منه بــازلٌ
لا يستطيعُ صيالَهُ [4] ابنُ لَبــون
لم يرعَ أكنافَ الهُوَيْنى مُمْرِجــاً
نعمَ الرَّفــاهةَ في رياض هُدون [5]
ولهُ وحُقَّ لــهُ لدى السلطانِ ! إحْ
ــمادٌ وأجــرٌ ليس بالممنــون
خِلعٌ كمــا ارتدت الفرنــدَ صفيحةٌ
أهدى الصقالَ لها أكفُّ قُيونِ [6]

---

(١) السامري : اسرائيلي أضل قومه في غياب موسى ، والعجل صنعه لهم من حليهم الذهبية فعبدوه على الرغم من تحذير هارون لهم .
(٢) أرسى : أثبت .
(٣) العثنون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين ، وشعيرات طوال تحت حنك البعير .
(٤) صال على قرنه صولا وصيالا و .... سطا واستطال . ابن اللبون : ولد الناقة في سنته الثانية . البازل : الجمل في سنته التاسعة .
(٥) ممرجاً : أمرج البعير خلاه يرعى حيث شاء . هدون : سلم وصلح .
(٦) القيون : والأقيان مفردها القين وهو الحداد .

واسْمٌ طوتْ ذكـراهُ كـلَّ مسافةٍ
في الأرضِ نائيـةِ المزارِ شطونِ
يفْشي ثـنـاهُ كـاتبٌ أو راكبٌ
من بطنِ قرطـاسٍ وظهرِ أمـونِ
ولعلَّ كرْمانَ المرُوعةَ (١) ترتدي
منـهُ بأمـنٍ شامـلٍ وسكـونِ
فقدِ اغْتـدى كالزِّيرِ نـضْواً بَمُّها (٢)
وأحسَّ أهلوهـا بريْـب منـونِ
نكبتهـمُ الأيـامُ حـتى إنَّهم
مَرِنُوا على النكباتِ أيَّ مـرُونِ
أهوِنْ بحـرٍّ وطيسهـا لو أنّـهُ
نادى بها : يا نـارُ برداً كوني (٣)
فلينتظرْ غـدَهُ لأنَّ نصيبَـهُ
من يَومِـه كعُجالـةِ العُربـونِ
ولْيسترحْ من طعـنِ لبّاتِ العدا
بمُجاجِ (٤) لبَّـةِ دَنِّـهِ المطْعونِ
من كفِّ أغيـدَ ما لكفّـيْ ربِّـهِ
، إذ يشتريه ، صفقةُ المغْبـونِ

(١) في ح وف ٣ : المراغة .
(٢) البم : الوتر من العود أو الوتر الغليظ من أوتار المزهر . الزير : الوتر الرفيع .
(٣) من الآية : « قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » (٢١/٦٩) .
(٤) المجاج : الريق ترميه من فيك .

وليسمحَنَّ بصَبْرةٍ [1] من عسجدٍ
مُكتالةٍ لكلاميَ الموزون

فقدِ استذلّنيَ الزمانُ وقبلَ ذا
ما كانَ يَسمحُ للزّمانِ قُروني [2]

وليملكنَّ كنوزَ قارونٍ كما
ورثتْ عداهُ الخسفَ من قارونِ

ولتَبقَ دَوحةُ عزّهِ مُلتفّةً
في خُضرِ أوراقٍ ومُلدِ غُصونِ

وممّا روي له (في الغزل) :

إنسانُ عَيني قطُّ ما يَرتوي
من ماءِ وَجهٍ مَلُحَتْ عَينُهُ
(سريع)
كذلك الانسانُ ما يَرتوي
من شُربِ ماءٍ ملُحَتْ عينُهُ [3]

وقال أيضاً (في الغزل) :

عجبتُ من دَمعتي وعَيني
من قبلِ بَينٍ وبعدِ بَيْنِ
(مخلع البسيط)

---

(١) الصبرة : الحجارة الشديدة .
(٢) القرون : مفردها القرن.وهو الذؤابة .
(٣) البيتان من معجم الأدباء : ١٣/٣٨ ، ملحت من الملاحة والحسن . عينه : العين الباصرة . ملحت : من الملوحة . العين (الثانية) : عين الماء .

قد كانَ عَيني بغَيرِ دمعٍ
فصارَ دَمعي بغَيرِ عَيْنِ [1]

قال الباخرزيُّ ردّاً على قطعةٍ كتبَها اليه أبو القاسم الفيّاض بنُ علي الهُرَوي :

ما نُطفةٌ من حَبٍّ مزنِ
قَد بيّتوها جوفَ شَنٍّ [2]
(مجزوء الكامل)
وسُلافةٌ من قَلْبِ دنٍّ
قد نَحَروهُ بقَلبِ دَنٌّ
وتصافحٌ بعدَ القلى
وتصالحٌ غِبَّ التّجنّي
إلاّ كشعرِ صَديقيَ الْـ
ـفيّاضِ فاشدُد بهِ وغنّ

وقال في مجلسِ شيخهِ عبدِ الله الصُّوفي الأنصاري [4] :

مجلسَ الاستاذِ عبدِ الْـ
ـلـه روضُ العارِفينا
(مجزوء الرمل)

---

(١) حاشية معجم الأدباء والدمية : ٢/٨٠٤ .
(٢) الشن : القربة الخلق الصغيرة .
(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي ... أبو اسماعيل الأنصاري الهروي . كان محدثاً مصنفاً ، كما كان شديداً على أهل البدع قوياً في نصرة السنة . توفي بهراة ٤٨١ هـ - ١٠٨٨ م (المنتظم : ٩/٤٤) .

أَلحـــــقَ الفخـــرَ بنـــا بعْـ
ـــدَ احتْكـــامِ العارِ فينا [1]

قال الباخرزي (في شعر عبد الله الانصاري) :

تلـــكَ الجنـــانُ قطوفهنَّ دَوانِ
تَشدو حَمائمُهــا على الأغصــانِ ؟
(كامل)
أم صُدغُ مَعشوقٍ تَصَوْلَجَ مسكُهُ
مـــن وردٍ وَجنَتـــهِ عـــلى ميدانِ ؟
أم روضةٌ بيدِ السحابِ مَروضـــةٌ
لنسيمهـــا لَعِبٌ بغُصنِ البـــانِ ؟
أم شعرُ أظرفِ مَن مَشى فوق الثّرى !!
حسنِ بنِ عبد اللهِ ذي الاحسانِ [2]

---

(١) الدمية : ٨٧٥/٢

(٢) الدمية : ج٢

حرف الهاء

(قال في غزل الغلام) :

وشادنٍ ليسَ يَهــواني وأهــواهُ والمُستعانُ على هجرانــهِ اللهُ
(بسيط)
فالنّحلُ يشتارُ شهداً من مُقبّلــهِ والشّمسُ تقبسُ نوراً من مُحيّاهُ

وله أيضاً :

إذا اقتبسَ الهــلالُ النورَ منْــهُ زَوى عنه الجبينَ وقالَ : مَن هُو ؟
(وافر)
أيطمَعُ أنْ يكونَ غــلامَ وَجْهي وليسَ لكاذبِ الأطماعِ وَجْهُ ؟
فأمّــا إذ ألــحَّ عــليَّ حــتىَ يكــونَ شراكَ نَعليَ فليكُنْهُ

وله (في الهجاء) :

وأقــرعَ طيّاشِ الدمــاغِ سَفيهِ يتيهُ مــعَ الداءِ المُركّبِ فيهِ
(طويل)
أعــيرَ منَ الغربــانِ أسوأ عادةٍ فبــاتَ يُواري سَوأةً لأخيــهِ

وله :

رُويدَكَ يا مَن أغضبتْهُ هناتُه[1] تربَّصْ به الأيّامَ سوفَ تَراهُ
(طويل)
فما هُوَ فيمـا رامَ الا كبـاسطٍ إلى الماءِ كفَّيْهِ ليبلغَ فـاهُ[2]

وقال (في خداش وداره) :

دارُ خُـداشٍ جنّةٌ ، مالَهـا في طيبِهـا أو حسنهـا كُنْهُ
(سريع)
وهو من البُلـهِ . وفيمـا رَوَوا « أكثرُ أهلِ الجنّـةِ البُلْهُ »[3]

وقال في « صديقٍ مُهلهلِ الوُدِّ ، سخيفِ العهد »[4] :

ألا ربَّ مولىً غـرَّني من عُهودِهِ يَمـينٌ علَيْها صافَحَتْني يَمينُهُ
(طويل)
أكابـدُ منهُ ضـدَّ ما أستحقّهُ فأصدُقُ في ودّي له ويَمينُ هُوْ
عجبتُ لأخلاقِ اللئـامِ كأنّهم عنِ الكرمِ المَعْجونِ في شيمي نُهوا

(١) هنات : يقال في فلان هنات ، أي خصلات شر ، ولا يقال ذلك في الخير .
(٢) تضمين للآية : « كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » (١٤/١٣)
(٣) حديث شريف .
(٤) الدمية : ٦١١/١

حرف الواو

(قال في الغزل) :

يا شمسُ والشمسُ لهـا حاجبٌ   حاجِبُكَ الطَّلقُ لماذا انزوى ؟

(سريع)

أإنْ هفا لُبِّي من نَشوةٍ   لَظاتُهـا نَزّاعـةٌ للشَّوى [1]

فانْوِ ائْتلافاً فلكلِّ امرىءٍ   . قال النبيُّ المصطفى : ما نَوى

حتى إذا قيلَ : صَحا وارعَوى   عادَ . كذا عادةُ أهلِ الهَوى

دبَّ في خاطرِهِ ثانيا   ذِكرُ اللوى . سَقياً لعهدِ اللوى

مَرعىً نضيرٌ لم نُصِبْ بعدَهُ   نظيرَهُ مذ أزعجتْنا النَّوى

تَدعو حَماماهُ ولو لم يُجِب   نوحُهُما المطربُ لن يَدعُوا

ما شئتَ من خَيرٍ ومَيرٍ ومن   كافٍ وهاءٍ وصلا بالفَوا [2]

فالآن قد أكسف من بالِهِ   بِلىً طوى رونقَهُ فانطَوى

كأنّهُ لم يَغْنَ بالأمسِ وا   كآبَتا منهُ ولم تُغْنِ وا

ذوى فإن قيلَ : لماذا ؟ أقُلْ :   غابَ ذَووهُ . فلهذا ذَوى

كانوا إذا اجتَزتُ بهم رقّعوا   بالمُقَلِ الدُّعجِ خروقَ الكُوى [3]

---

(١) مقتبس من القرآن الكريم ، في قوله تعالى : « كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى » (١٥/٧٠)

(٢) يقصد : الفواكه .

(٣) مأخوذ من بيت عمر بن أبي ربيعة :

وكن اذا أبصرنني أو رأينني   ركضن فرقعن الكوى بالمحاجر

طابَ بهم عَيشي سوى أنَّه طارَ معَ العنقاءِ نحوَ الهوَى

وقال في الرّثاء :

هأنذا ثاوياً بمضْيعةٍ ووالدي في ضريحهِ ثاوِ

(منسرح)

قد كان للدَّهرِ رونقاً فمضَى فكلّهُ رونقٌ بلا واوِ

حرف الباء

(قال في الغزال) :

بعـــدتَ فعادَ جديـــدُ باليْ باليـــا	وتعطّلتْ حالي و كـــانتْ حاليـَهْ
(كامل)
فلتَدْنُ أو تبعدْ فكيفَ تصرّفتَ ؟	فهي المُنى وحديثُ نفسٍ خاليـَهْ

وله أيضاً (في الغزل) :

لقد كنتُ زيـــراً للغَواني أزورُهـــا	فتُضربُ أوتـــارٌ ويُطربُ نايُ
(طويل)
فأصبحتُ زيراً نـــاحلاً بعدَ نأيها	ستُطلبُ أوتارٌ ويقرُبُ نايُ [1]

وله (في الافتخار) :

صارَ قَدري في الناسِ كاسْمي عليّاً	ولساني بالصدقِ أضحى مَليّـــا
(خفيف)
وكـــأنَّ الالـــهَ قـــال لأجـــلي :	وجعلنا لسانَ صـــدقٍ عَليّـاً [2]

---

(١) الأوتار : ج وتر وهو الانتقام أو الظلم ، وهو جناس من (أوتار) في البيت الأول .
النائي : مخففة من النائي وهو البعد .

(٢) الآية : « وجعلنا لهم لسان صدق عليا » (٥٠/٩) .

وله في ذكر الغاشية :

كم راكبٍ لم يترجّلْ ماشياً ⁂ وعقلُه دونَ عقولِ الماشيه
(رجز)
تُعجبُهُ غاشيةٌ يَحملُها ⁂ أمامَهُ في السُّوقِ بعضُ الحاشيَهْ
لم يأتني حديثُها قبلُ فهل ⁂ أتاكَ يا صاحِ حديثُ الغاشيَهْ؟ (١)

وله (في الفحش) :

يا خالقَ الخلقِ حملتَ الورى ⁂ لمّا طغى الماءُ على جارِيَهْ
(سريع)
وعبدُكَ الآنَ طغى ماؤُهُ ⁂ في الصُّلب فاحملْهُ على جارِيَهْ (٢)

وقال (٣) من قصيدة يمدحُ فيها الشريفَ ذا المجدين أبا القاسم عليَّ بنَ موسى بنِ اسحاقَ بنِ الحسين .... بنِ علي بن أبي طالب عليهم السلام ، نقيب الطالبيّينَ بمَرو ، أولها :

حبَا من تحتِ ذَيلِ الحبَيِّ ⁂ شعاعٌ كحاشيةِ المَشْرفي (٤)
(متقارب)
أعادَ طرازَ رداءِ الهوى ⁂ ولكن تردَّى وشيكَ الهَويّ
وأطلعَ في جُنحِ ليلِ السّحابِ ⁂ صباحاً مُضيّاً وشيكَ المُضيّ
هيَ النارُ تُعبدُ لا للصّلاةِ ⁂ إليها ، وتُعمدُ لا للصّليّ (٥)

---

(١) الدمية : ١/٥٩٠ ، اقتباس من الآية ١/ سورة الغاشية . والغاشية : حديدة فوق مؤخرة الرحل .

(٢) من وفيات الأعيان .

(٣) الدمية : ٢/٨٤٣

(٤) الحبي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض أو الذي بعضه فوق بعض .

(٥) تعمد : تلتزم ، وعمد الشيء : لزمه . الصلي : الاشتواء ومقاساة الحرارة .

ولكــنَّ إشراقَهــا مُوهِــمٌ ... بإيمــاضِ ثَغرٍ لسُعدى نَقــيِّ

ذكــرتُ عرارةَ نَجــدٍ وعزَّ ... شميمُ العَرارةِ بعدَ العَشيِّ (١)

وجدَّدَ شَوقــي وراءَ الضُّلــوعِ ... بلى الربعِ من بعدِ أخذي بلِيٍّ (٢)

ومَن لي بسُعدى ومِن دونِهــا ... وقد حُجبتْ خلفَ مَرمىً قَصيٍّ؟

نعيبُ الغُرابِ ونَبــحُ الذِّئــابِ ... وحرشُ الضِّبابِ (٣) ووَخْدُ المطيِّ

يُقشِّرُ بالضربِ منهــا اللِّحــى ... وتُشغلُ عن ضَربِهــا باللِّحيِّ (٤)

وتَرمــي قوائمَهــا كــالسِّهام ... وتُــبرى هياكلُهــا كالقِسيِّ

ببَهمــاء أحشاءُ أحسائهــا ... تَشكَّتْ إلى الرَّكبِ وقعَ الدُّليِّ (٥)

ويقول فيها : (٦)

وسُقتُ الرَّكائبَ حــتى أنَخْنَ ... بسَبْطِ الأنــاملِ سِبْطِ النَّبيِّ

عليِّ بنِ موسى مُواسي العُفــاةِ ... أبــي القاسمِ السيِّــدِ المُوسَويِّ

خصيبِ الثَّرى غضيِّ نبــتِ المرادِ ... رحيبِ الذرى عذبِ ماءِ الرُّكيِّ (٧)

طَمى بالنَّدى واديــا راحتَيــهِ ... فطمَّ على آجناتِ القَــرِيِّ (٨)

---

(١) أغار الشاعر على بيت الصمة القشيري حيث يقول :

تمتع من شميم عرار نجــد ... فما بعد العشية من عرار

والعرار : بهار البر وهو نبت طيب الريح .

(٢) اللي : المطل .

(٣) حرش الضباب : اصطيادها . وحرش الضب : صاده .

(٤) اللحية : شعر الخد والذقن . اللحي : اللوم .

(٥) البهماء : الفلاة . الدلي : ج دلو .

(٦) معجم الأدباء : ١٣/٥؛

(٧) الذرى : الملجأ والكنف . الركي : ج الركية وهي البئر .

(٨) القري : الماء المجتمع ، وقرى الماء في الحوض يقريه قرياً وقرى : جمعه .

نَمـــاهُ الفَخـــارُ إلى جَــــدِّه ... عليٍّ فطـــارَ بجَدٍّ عَلِـــيّ (١)
ولا يتأشّبُ عيـــصُ السَّــرِيِّ ... إذا هُوَ لم يَكُنِ ابْنَ السَّرِيّ (٢)
أبـا قاسمٍ يــا قَسيمَ السَّخــاءِ ... إذا جَفَّ ضَرعُ الغَمامِ الحبِيّ (٣)
وفَـــدْتُ إليــكَ مــعَ الوافدينَ ... وُفــودَ البِشارَةِ غِــبَّ النَّعِيّ (٤)
وزارَكَ مِنِّـــي سَمِيٌّ كَنِـــيٌّ ... فَراعِ حُقوقَ السَّمِيِّ الكَنِيّ
فَهذي القَصيـــدةُ بِكــرٌ تصِلَ ... على نَحْرِهــا حَصَيَـــاتُ الحلِيّ
جَعلْتُ هَواكَ جِهــازاً لهـــا ... فجاءَتْــكَ مائسَةً كالهَدِيّ
سحَرْتُ بِهــا ألْسُنَ السَّامريـــنَ ... ولم أتـــرُكِ السِّحْرَ للسّامريّ
ولمّـــا نشرتُ أفاويقَهـــا ... طَوى الناسُ دِيباجَـــةَ البُحتَريّ
تظلُّ القَطــا وهْيَ أهْدى الطُّيورِ ... تَضلُّ بِهــا كالغَوِيِّ الغَـــبِيّ
إلى مثلِها طـــالَ بـــاعي وطــابَ ... لجَنْبي اجتنابُ الفراشِ الوَطِيّ (٥)
وأسكرني شربُ كــأسِ السُّرى ... على عَزفِ جِنِّيِّهـــا الجَهْوَرِيّ

ومنها :

مَعـــادُ مُعاديـــهِ مَهْما طَوى ... على بُغضِهِ القلبَ ، قَعرُ الطَّوِيّ (٦)
وأمثـــلُ أحـــوالِ أعدائـــهِ ... وكلُّهُـــمُ نهـــبُ داءٍ دوِيّ
عِصِـــيٌّ مكلّلَـــةٌ بالـــرؤوسِ ... وروس مُكلّلَـــةٌ بالعِصِيّ

---

(١) علي (الأولى) ابن عم النبي كرم الله وجهه . و (الثانية) : الرفيع .
(٢) تأشب الشجر : التف واجتمع . العيص : الأصل . السري : الشريف الوجيه . والمعنى : لا يجتمع شرف الأصل ما لم يكن ابن شريف .
(٣) الغمام الحبي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض أو الذي بعضه فوق بعض .
(٤) النعي : الذي يخبر بموت المائت .
(٥) الوطي : المنخفض .
(٦) الطوي : البئر المطوية .

شعره الفارسي (١)

نقل من العربية إلى الفارسية قوله :

١ – چونْ تو ، يارا ، گُزيدَه يار كه دِيد ؟
هَمْبر روى تو نِگَـــارِ كه ديد ؟

٢ – مِشك بَرْ بَرگ تازَه گل كه شَنيد ؟
ماهْ بَر سَرْوِ جُويْبــار كه ديـــد ؟

٣ – صَدَفى خردَكْ أز عَقيــقِ يَمَـــنْ
سَرْ بسَرْ دُرِّ شاهْوارْ كه دِيـــد ؟

٤ – وُ اوفْتادَه نِگون بَر آتش تيــز
زنگي سُسْتُ و بِــى قَرار كه دِيد ؟

٥ – نَرگسى نا چَشيدَه هَرْگِـــزْ خمر
روزُ وشَب مانْده دَر خُمار كه ديد ؟

وله أيضاً :

٦ – خالْ ماشوره‌ء سِيمينِ تو ديدَم ، صَنما
بِزَدم از طربُ و شادي صَدْ نَعْره بَرُو

(١) هذا ما عثرت عليه من شعره الفارسي . وقد رقمت الأبيات لتسهل على المطالع مراجعة الترجمة في ختام الأبيات الفارسية .

٧ – ظَن چُنان بُردم کَزْ غالیهٔ سُنْبُلِ خویش
بِچِکانید سَر زُلفِ تو یک قَطره بِرُو

رباعي (١)

٨ – پیرامَنِ روزْ قیرْگون شَبْ دارَدْ
زیر دو شکَرْ سِی و دو کُوکَب دارَدْ
٩ – بر سرخ گُل از غالیه عَقْرب دارد
وَ زْ نوشْ دو تریاكِ مُجَرّب دارد

رباعي (٢)

١٠ – بَر گَرْدَنِ خویش بَستهای عِقدِ گهَرْ
وَ ز گوشِ بیاویخته ای حَلقهٔ زَرْ
١١ – گویی غم عشقْ جَلْوَه کَرْدْ، ای دِلْبَر
زِ اشك و رُخِ مَن بگَرْدَنْ و گوشِ تو دَرْ

رباعي (٣)

١٢ – بَر ماهِ دو هَفْته مِشكِ پُرتاب تُراست
ماشُورهٔ سیم سَر بعُنّاب تُراست
. . . . ؟

رباعي (٤)

١٣ – زِ آن می خواهم که خُرّمی را سببَسْت
نامَش مِی و کیمیاي شادِی لَقَبسْت

١٤ — سُرخست چُو عنّاب و زْ آب عِنَبسْتْ
آبِی که بَرخ بَرَ آتش آرَدْ عَجَبسْتْ

رباعي (٥)

١٥ — ای غالیه شُوریدَه بماشُوره سیم
وَ زْ غالِیهْ تُو سیم را رَنْگْ و سیم
١٦ — بَر رُغم مَرا نَهادی ، إیْ دُرِّ یتیم ،
دَه تاجْ سِیَهْ بَر سَر دَه ماهی سیم [1]

رباعي (٦)

١٧ — خَصم ِ تو اگر باز نَدارَدْ زِ تو چنْك
صَد گونَه بَرای تو بَر آمیزَم رَنْگْ
١٨ — بِنَشینَمْ ، اگَرکارْ بنامَسْتْ وبِنَنْگْ
بَر آتَش چُون کَباب و بَر تِیغْ چو زَنْگ

رباعي (٧)

١٩ — مَن می بِرَوم بیا مَرا سیر ببینْ
وِ ین حالْ بصَدْ هزار تَشْوِیْر ببین
٢٠ — سَنْگی زَبَر و دَسْتِ مَن از زیر ببینْ
وَ زْ یارْ بُریدَني بِشَمْشیرْ ببِینْ

---

(١) نوع من السمك .

التّرجمة

١ – أقبلَ العشقُ فجعل المنزلَ خالياً ، ورفع سكيناً مُهملة .
لأنك يا حبيبي المُنتخب ، من رأى مثلك ؟ لم ير أحد مثل وجهك الحبيب .

٢ – مَن رأى مثلَ شعرك الأسود على صفحتك الشبيهة بورق الورد ؟ لم يَرَ أحدٌ القمر فوق السرو .

٣ – شفتاه كعقيق يَمَني وأسنانه الصدفية البيضاء المرتّبة كدرٍّ ملكي .

٤ – لقد وقعتُ في نار حبّك ، فمن رأى زنجياً قلقاً في حبّه مثلي ؟

٥ – مع أن عينيْكِ لم تذوقا الخمرة فانكِ ليلاً ونهاراً نشوى من السكر .

٦ – لقد رأيتُ الخال الأسود على وجهكِ الفضي يا معبودتي ، وصرخت طرباً من هذا الخال .

٧ – ظننت أن قطرة من شعرك الأسود ، سقطت من زلفك فجعلت منه قطرة .

رباعي (١)

٨ – تحت شفتيك الحلوتين اثنان وثلاثون كوكباً ، كما أن النهار الأبيض يأتي بعده ليل أسود .

٩ – على وجهك الورديّ عقرب ، ومن شرب شفتيك حياة .

رباعي (٢)

١٠ — على رَقبتي عقدٌ منَ الجوهر ، وتعلق في أذني حلقة ذهبيّة .

١١ — هذا العقد من دموعي ، وهذا الذهب من احمرار خدودي .

رباعي (٣)

١٢ — على وجهك القمري شعر مجعّد .

رباعي (٤)

١٣ — من الذي أتمنّى السعادة بسببه ، اسمه الخمرة وكيمياء السرور لقبه .

١٤ — الاحمرار كالعنّاب ، ومن ماء العنب ، الماء تُخمد النار وهنا العجب إذ أن النار تُلهبه .

رباعي (٥)

١٥ — ذات شعر مشعث وممزوج بالغالية ، وعلى الوجه خال يعطي لوناً

١٦ — جاذبياً ، ومع أنك أيتها الدرّة وضعتِني في طريق عشقك فإنني أحس أنك تعادلين عشرة تيجان فوقها أسماك بيضاء .

رباعي (٦)

١٧ — إن تمسّك بك خصمك ولم يترككَ وآذاك ، فسأعمل بك أشياء كثيرة .

١٨ — سأقاومك حتّى أضايقك ، سأقف لك كالكباب المشوي وكالصدأ يأكل السيف .

رباعي (٧)

١٩ — أنا أسير ، تعال انظر فقد شبعت منك ، وانظر إلى حالي القلق .

٢٠ — تعال انظر كيف أنَّ حجراً فوقي وأنا تحته مثقل ، وأنت يا محبوبي تقطّعني إرْاً إرْباً بالسيف .

المحتوى

المراجع العربية

* القرآن الكريم

* آثار البلاد وأخبار العباد :

تأليف زكريا القزويني — طبعة بيروت سنة ١٣٨٩ عام ١٩٦٩

* إنباه الرواة على أنباه النحاة :

تأليف : علي بن يوسف القفطي طبعة مصر سنة ١٣٦٩ عام ١٩٤٩

* تاريخ بغداد :

تأليف : أحمد بن علي البغدادي — طبعة بيروت

* تتمة يتيمة الدهر :

تأليف : الثعالبي — طبعة طهران سنة ١٣٥٣ عام ١٩٣٤

* تقويم البلدان :

تأليف : عماد الدين اسماعيل طبعة بغداد

* دائرة المعارف المصرية :

طبعة مصر .

* دمية القصر وعصرة أهل العصر :

تأليف : علي بن حسن الباخرزي . تحقيق : د . محمد التونجي .

طبعة دار الحياة دمشق ج ١ — سنة ١٣٩١ عام ١٩٧١

* **دمية القصر وعصرة أهل العصر :**
طبعة راغب حلب
* **ديوان عمر بن أبي ربيعة :**
طبعة بيروت سنة ١٣٧٢ عام ١٩٥٢
* **ديوان لبيد بن ربيعة :**
طبعة الكويت سنة ١٣٨٢ عام ١٩٦٢
* **الذريعة إلى تصانيف الشيعة :**
تأليف : محمد محسن الطهراني ـ النجف سنة ١٣٥٥ عام ١٩٣٦
* **شذرات الذهب :**
تأليف عبد الحي الحنبلي ـ طبعة مصر سنة ١٣٥١ عام ١٩٣٢
* **طبقات الشافعية :**
تأليف : أبو بكر بن هداية الله طبعة بغداد سنة ١٣٥٦ عام ١٩٣٧
* **طبقات المفسرين :**
تأليف : السيوطي طبعة ليون سنة عام ١٨٣٩
* **فتوح البلدان :**
تأليف : أحمد بن يمين البلاذري طبعة القاهرة
* **فوات الوفيات :**
تأليف : محمد بن شاكر الكتبي طبعة مصر سنة ١٣٧١ عام ١٩٥١
* **القاموس الاسلامي :**
تأليف : أحمد عطية الله ـ طبعة القاهرة سنة ١٣٨٣ عام ١٩٦٣
* **القاموس المحيط :**
تأليف : الفيروز آبادي .
* **الكامل :**
تأليف : ابن الأثير ـ طبعة مصر سنة ١٣٠٣ عام ١٨٨٥

* **لسان العرب :**
تأليف : ابن منظور .

* **لسان الميزان :**
تأليف : ابن حجر العسقلاني ــ طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٩ عام ١٩١١

* **مرآة البلدان :** لابن الجوزي ــ طبعة أنقرة

* **المسالك والممالك :**
تأليف : أبي اسحاق ابراهيم الاصطخري ــ
طبعة القاهرة سنة ١٣٨١ عام ١٩٦١

* **معجم الأدباء :**
تأليف : ياقوت الحموي ــ طبعة مصر

* **معجم البلدان :**
تأليف : ياقوت الحموي ــ طبعة صادر (بيروت)

* **المعجم الذهبي :**
تأليف : د . محمد ألتونجي ــ طبعة دار العلم (بيروت)
سنة ١٣٩٠ عام ١٩٧٠

* **معجم المؤلفين :**
تأليف : عمر رضا كحالة ــ طبعة دمشق سنة ١٣٧٨ عام ١٩٥٩

* **الملل والنحل :**
تأليف : الشهرستاني ــ طبعة مصر سنة ١٣٢٠ عام ١٩٠٢

* **وفيات الأعيان :**
تأليف : ابن خلكان ــ طبعة طهران (المصورة)

* **يتيمة الدهر :**
تأليف : الثعالبي ــ طبعة مصر سنة ١٣٧٦ عام ١٩٥٦

المراجع الفارسية

* تاريخ أدبيات در ايران :
تأليف : دكتر ذبيح‌الله صفا — طبعة طهران سنة ١٣٣٩ هـ . ش
عام ١٩٦٠

* فرهنگ آنندراج :
تأليف : محمد پادشاه طبعة طهران سنة ١٣٣٦ هـ . ش

* فرهنگ سخنوران :
تأليف : خيا مپور — طبعة تبريز سنة ١٣٤٠ هـ . ش

* فرهنگ فارسي :
تأليف : دكتر محمد معين — طبعة طهران سنة ١٣٤٢ هـ . ش

* لباب الألباب :
تأليف : محمد العوفي — طبعة طهران سنة ١٣٣٥ هـ . ش

* وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي :
تأليف : عباس اقبال — طبعة طهران سنة ١٣٢٨ هـ . ش

المراجع الغربية

- History of Islamic Peoples.

  By : Carl Brockelman — London : 1956.
- Encyclopédie de l'Islam.